

عصمة القرآن الكريم وجَهالات المبشرين

د. إبراهيم عوض

مكتبة نهضة الشرق

١١٦ محمد فريد - القاهرة

هاتف ٣٩٢٩١٩٢

م ٢٠٠٥

في البدء كانت هذه الكلمة :

منذ أن جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة الإسلام ، وهو
وقرآنه يتعرضان لهجوم شرسي لا يرمى في منطق ولا يواصف إلا ولا
ذمة ، هجوم كله باطل : هجوم ينطلق تارة من الوثنية والقبلية ، وهو
هجوم القرشيين . وتارة يقوم على المصيبة القومية الغيبة والأنانية
الحاقدة الفتاكة ، وهو هجوم اليهود ، الذين لم يطلقوا أن يروا نبيا من
خارج بني إسرائيل ، إذ كانوا يتوهمون أنهم أبناء الله ، وأن الله هو
إلههم وحدهم مهما كفروا ومهما اجترحوا من جرائم ، وأنه لن
يعذبهم إلا لأيام محدودة ، فهم شجب الله المختار ، وبقية الخلق
أغياره منحلون لا قيمة لهم . وتارة يقوم على رفض التوحيد النقي
الذي لا يقر بوراثة البشرية لخطأ أبيهم آدم وأمه حواء حين نسيما
فأكلتا من الشجرة المحرمة فأعبطهما الله من الجنة ، ولا بما يترتب
على ذلك المبدل الظالم الغريب من أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل ابنه
الوحيد بعد خطيئة آدم وحواء بأزمة متطاولة كي يفتدى البشر من هذا
الخطيئة (أو فلنقل كما يقولون : من هذه الخطيئة) ، وذلك بتأله وموته
على الصليب مما يعد صورة من صور الوثنيات القديمة ، مع أن من
المستحيل أن يكون لله سبحانه ولد ، فالألوهية والتعمد نقيضان لا
يجتمعان في العقل أساسا .

وإنى كلما تأملت هذا الهجوم الحاقق على الرسول الأعظم لم
 أجد له سببا مقنعا : لا إنسانيا ولا أخلاقيا ولا عقيديا ولا ... ولا ...
 لقد دعا صلى الله عليه وسلم إلى أنقى صور التوحيد ، وأكد أن رب
 الإسلام إله عادل رحيم سبق رحمته غضبه ، ويجازى على الحسنة
 بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، على حين لا يجزى السيئة إلا
 بمثلها ، وكثرا ما يغفرها ، إله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، إله لا
 يحاسب الأبناء بذنوب الآباء ، إله يأخذ الناس بنياتهم لا بمظاهر
 أعمالهم ، إله أقرب إلى عباده من حلل الوريد ، إله يريد لهؤلاء العباد
 أن يسموا وراء العلم وأن يستزيدوا منه وأن يفتحوا عيونهم وقلوبهم
 لتأمل الكون وما فيه من جمال ، إله يحب العمل والإنتاج ويكره
 الثرثرة والكسل ، إله لا يفرق بين البشر على أساس عرقى أو قومى أو
 قبلى بل على أساس من إيمانهم وأعمالهم الصالحة ، فالبشر عنده
 سواسية ، إله مفتحة أبوابه ليل نهار للثروة والحصول على الغفران دون
 وساطة من أحد لها كان ودون أية تعقيدات أو لراقة دماء بشرية ، إله
 يحض على العفو والتسامح ما أمكن ، وإلا فلما أخذ المظلوم حقه ممن
 ظلمه دون أى تشرب ، إله يحل الطيبات ويحرم الخبائث ... إلخ مما
 لو ذهبت أستقصيه ما انتهيت .

كذلك كان رسولنا الكريم هو الصورة المثلى للإنسانية صبرا

وتسامحا ، وحتوًا على الضعف البشري ، ورغبةً في تحويل هذا الضعف إلى قوة ، وحفّازًا على تحصيل أسباب الحضارة من علم وعمل ونظام وخلقٍ طاهر وذوقٍ راقٍ ، وعدلا في تطبيق القانون ، وتوازنًا في النظر إلى الدنيا والآخرة ، والجسد والروح ، فالدنيا طيبة ما دامت من حلال ، والطعام والشراب والمطر والنساء مِنَّن من الله على عباده ليستمتعوا بها ، ولكن بحقها وفي اعتدال ... وهلم جرا . ترى ما الذي في هذا أو في ذلك مما يمكن أن يكرهه عاقل سليم القلب مستقيم الضمير ؟ وهل بعد رفض الدين الذين جاء به محمد يستطيع أي إنسان عاقل سليم القلب مستقيم الضمير أن يجد دينًا يصلح لاعتناقه والعمل به ؟

وفي الفترة الأخيرة ازداد الهجوم على الإسلام ورسوله شراسةً ففكنا من المهاجمين الحاقدين أن الفرصة سانحة لتوجيه ضربة قاضية إلى ذلك الدين في ظل ضعف المسلمين وهوانهم وتخلفهم . والواقع أن هؤلاء الحاقدين واهمون ، فالإسلام ، وإن كان المتسبون إليه الآن ضعفاً أذلاء ، هو دين قوى عزيز كريم يستحيل القضاء عليه ، والأهم بيننا ! ولقد مرت على المسلمين أزمان كانوا أشد ضعفاً وهواناً مما هم الآن ، ولم يستطع أعداء الإسلام أن ينالوا من دين الله مثلاً ، بل إن جوهره لترداد على الأيام ومعاودة الهجوم عليه تألقاً وجمالاً !

ومما ظهر في الفترة الأخيرة من كتب تهاجم الإسلام كتاب نافه صدر في النمسا سنة ١٩٩٤م بعنوان « هل القرآن محصوم ؟ » لشخص يسمى باسم « عبد الله عبد القادى » (أو بالأحرى : العبد الفاضل)^(١) راح يهاجم القرآن في رعونته وجهل ، وبهم لغته بالضعف والخطأ ، ويحاول أن ينال من الرسول الكريم ، الذى حتى لو صدقت كل افتراءات هذا الكاذب الأفاك هو وجميع المبشرين والمستشرقين عليه صلى الله عليه وسلم لكان مع ذلك أفضل من أنبيائهم جميعاً حسبما يصور كتابهم المقدس هؤلاء الأنبياء : فتوح يشرب الخمر حتى يسكر وينطرح على الأرض هناك السوءة لم يلمن حفيده كنعان لعناً شنيعاً لا شيء إلا لأن حاماً أباً كنعان هذا قد تصادف أن رأى على هذه الحال . وإبراهيم يتنازل عن زوجته لأبيمالك خوفاً منه قائلاً إنها أخته ، ولولا أن أبيمالك قد عرف حقيقة الأمر فى المنام لوقعت الواقعة . ولوط تسقيه ابتلاء خمر حتى يفقد وعيه ثم تنامان معه الواحدة بعد الأخرى لتحبلا منه . وموسى يقتل المصرى عن حمد وسبق إصرار وقسوة إجرامية أصيلة ، وحين يختاره الله

(١) أو « عبد الفاضل » بإضافة لوصوف إلى صفته ، فهو عبد يتصرف تصرف العبد الأذلاء لا السادة الكرام النبلاء ، وفاضل ليس له شغلة ولا مشغلة ، ومن ثم يتناول على سيد الخلق ومبدع هو ومن يمكنه تعرضه على هذه السفاهة !

رسولاً إلى فرعون يرده عليه سبحانه في جلافة غريبة أغضبت سبحاته عليه . وهارون يصنع المجل الذهبي لبني إسرائيل ويبنى له مذبحاً ويبارك عبادتهم له وطوافهم ورقصهم حوله عراً صابحين . وداود يرى امرأة قائد الحربي من فوق سطح قصره وهي تستحم عارية في فناء بيتها المجاور فيحضرها إليه ويزني بها ثم يتخلص من زوجها بمؤامرة خبيثة لا يقدم عليها إلا القطة المتوحشون كي يخلو له وجهها ، ثم يعزوها وينجب منها سليمان . وسليمان ينظم نشيدا غزاليا شهوانيا يتفوق فيه على كل شعراء الجمن يصف فيه سرّة الحبيبة وأداءها وأفخاذها ، كما يفض الطرف عن عبادة زوجاته للأوثان في بيته . وعيسى تكبّ امرأة على رجليه تبللها بالدموع وتمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه بنفها وتدهنها بالطيب فيقول لها : « مغفورة لك خطاياك » ، وتأتيه أمه وإخوته يريدون أن يقابلوه فيرفض قائلا إن أمه وإخوته هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها ، مما لا يمكن أن يكون معناه إلا أنهم لم يكونوا من الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها . وفي مناسبة أخرى يأمر اثنين من تلاميذه أن يدخلوا إحدى القرى القريبة ويأتياء بجحش مربوط هناك دون استئذان من أصحابه ليركبه . وفي العشاء الأخير يمسك بكأس خمر ويقدمها لتلاميذه ليشرّبوا منها ، بل إنه في أحد الأعراس التي دُعِيَ إليها قد حوّل نحو خمسة عشر مترا مكعبا من الماء إلى خمر ليشرّب المدعوون

ويسكروا ، وكان ذلك استجابة لطلب أمه . وقد عذَّ كاتبُ إنجيل يوحنا هذا العملَ أولى معجزاته عليه السلام ... وهكذا ، وهكذا بما هو مذكور في كتب القوم ، وإن كنا نحن المسلمين لا نصدِّق بشيء منه . ترى ما دام الأمر كذلك فلم يكرهون محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يفعل ذلك ولا عشره بل ولا واحداً على مائة أو على ألف أو حتى على مليون منه ؟ الواقع أن القوم ، بسبب حقدهم ، قد سَلَبَت منهم عقولهم فهم لا يفقهون !

والآن مع الكتاب السخيف الذي يظن صاحبه ومن يقفون وراءه أن بإمكانهم تشويه صورة الرسول والإجلاب على القرآن وعظمته وإعجازه . والواقع أنني لم أُرِدْ على كل الشبهات بل اقتصررت على الشبهات اللغوثة وعدد كبير من الشبهات الأخرى التي تتناول مضمون القرآن ، وفيها غنيَّة عما لم أُرِدْ عليه من اعتراضات . وقد كتبتُ هذه الصفحات وأنا بعيد عن المراجع الكتابية ، اللهم إلا الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس ، ثم إنني سطرْتُها في وقت انشغال ببعض الأعباء والأبحاث الأخرى .

إبراهيم عوض

٢٠٠٣م

الفصل الأول
(الشبهات اللغوية)

الشبهات اللغوية

في هذا الفصل نتناول ما سَمَّاهُ الجاهل بـ « الأسئلة اللغوية » ، وهي الأسئلة الخمسة والعشرون التي عقد لها فصلا مستقلا خطي الصفحات ١٠٧ - ١١٢ . والهدف الذي يتوخاه من وراء هذه الشبهات هو أن يلتقي في رُوح القراء أن القرآن الكريم أعطاه لغوية ، وهذا دليل على أنه لا يمكن أن يكون من عند الله ، لأن الله لا يخطئ ، وهو إذن من تأليف محمد . وسوف أفاجمه وأسلك في الرد على هذا القىء ميلا لا يتوقها هذا الجاهل ولا خطرت له بهال ، إذ سأفترض أن محمدا هو فعلا صاحب القرآن ، ثم أعاجله بمفاجأة أخرى لا تقل عن الأولى إنعالا إن لم تزد . هذه هي المسألة كما يقول شكبير !

فالمعروف أن لغة لغة هي من صنع أهلها الأوائل الذين تكون ممارستهم لها حيثئذ بالسليقة ، أي بدون أن يكونوا واهين تماما بالقواعد التي تحكمها ، بل تشتريها كل جيل من الجيل السابق عليه تشريا ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى تُجمَع فيها اللغة وتُستخلص قواعدها من كلام أهلها ، فما قالوه يكون هو الصواب ، وما لم يقولوه لا يكون مقبولا .

وَلتَطِيقُ الآنَ هذا الكلامَ على اللغة العربية : لقد كان الجاهليون
 يمارسون العربية بالسليقة ، وكان كلامهم هو مقياس الخطأ
 والصواب . وبطبيعة الحال فإن شعراءهم وخطباءهم كانوا يمثلون أرقى
 المستويات اللغوية لكونهم أفضل قومهم ثقافة وذوقاً أدبياً ورهافة حسّ ،
 وكان محمد واحداً من هؤلاء المثقفين ، مثله مثل امرئ القيس
 وطرفة وزهير والأعشى وقسّ بن ساعدة وحسان بن ثابت وغيرهم من
 الشعراء والخطباء الذين أخذت عنهم اللغة ، ومن كلامهم قُمَدَتُ
 قواعدها ، فهل سمع أحد أن شخصاً قد خطأ لها من هؤلاء الشعراء أو
 الخطباء ؟ إن هذا لم يحدث ، ولن يحدث . فقرآن محمد إذن هو ،
 على أسوأ الفروض ، مثل شعر امرئ القيس مثلاً أو غُطِبَ قسّ بن
 ساعدة ، أي أنه هو المعيار الذي يُحَكَّمُ إليه ويُخط منه ويُهْتَدَى به^(١) ،

(١) انظر ، في المصادر التي جُمِعَتْ منها اللغة العربية ، د. أحمد محمد قنور /
 مدخل إلى لغة اللغة العربية / دار الفكر المعاصر / بيروت / ١٤١٣ هـ -
 ١٩٩٣ م / ٦٣ ، ما بعدها حيث يذكر الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وكلام
 العرب ، ويجعل القرآن هو النصّ الأساس لأنه ، على عكس الشعر الجاهلي ، لم
 يصبه تحريف لاحد حفظه على كلّ من الذاكرة والكتابة منذ اللحظة الأولى .
 ومع ذلك يرى القارئ قد ذُهِبَ إلى أقصى مدى في التعامل مع اللهرومين
 بنسخة القرآن حيث سَوَّته بالشعر الجاهلي وجعلت الرسول في ذلك مثل امرئ
 القيس وعتره وقسّ بن ساعدة .

أما إن تطاول أحد وتطلع إلى تخطئه فذلك هي الطامة الكبرى . وهذا ما فعله هذا الأحق الموسوم بـ « العبد الفاضل » !

وقضلا عن ذلك فهذهي ألا يفوتنا أنه لو كان في القرآن الكريم أي خطأ لغوى مهما قُفَّهَ لملأ مشركو العرب الدنيا صياحا واسفهزاء بمحمد . لقد افترؤا عليه الأكاذيب ولم يأتوا جهنما في اتهامه زورا وبهتانا بأنه مجنون وأنه ساحر وأنه كذاب وأنه إنما يعلمه بشر ، ولكن رغم كل هذا لم يجرؤ أحد منهم قط أن يهمس مجرد همس بأن في القرآن أخطاء لغوية ، مع كثرة ما تخدعهم أن يأتوا بقرآن مثله أو يعشر سورة منه أو حتى بسورة واحدة تشبه سورة ، وكثرة ما نصب بينهم وبينه من حروب كلامية ومعارك بالسيف والرمح والحصان . فما معنى هذا ؟ إن أعداء محمد من المبشرين لا يخجلون ! ذلك أنهم إنما يحركهم الحق والدعاة ، وناس عذة دوافعهم كيف تنتظر منهم أن يعملوا عقولهم أو يتقوا بهم ؟

وطريقتنا مع الشبهة اللغوية التي نُقِنَّا العبد الفاضل كما يُلَقَّن الأطفال هي أن نذكر كل شبهة منها ونبين ما فيها من رقاعة وجهل ثم ننفع فيها نفخة خفيفة فتطير في الهواء هباءً منثورا . ولكن قبل أن نبدأ نحسب أن نوجه نظر القراء إلى أن معرفة هذا الجاهل بقواعد

اللغة العربية ، حسبما يبدو من أسلوبه نفسه أو من الاعتراضات التي يثيرها ضد أسلوب القرآن ، هي معرفة تافهة فجأة . وهذه جملة من أخطائه في الكتاب الذي بين أيدينا :

قال مثلا : « فجملة السماوات والأراضي أربعة عشرة » (ص ٢٢) ، وصوابها لكل من له أدنى إلمام بقواعد اللغة هو : « أربع عشرة » ، وقوله عن مريم أم المسيح عليه السلام : « ... مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة » (ص ٣٠) ، والصواب هو : « ألفا وستمائة سنة » ، وقوله : « ... مع أن بين الحادثتين زمن مئيد » (ص ٥٨) ، وصحته : « زنا مئيدا » ، وقوله : « كيف يكون حال بيت يكذب فيه الزوجان على بعضهما ؟ » (ص ٦٨) ، والصحيح : « يكذب فيه الزوجان أحدهما على الآخر ، أو يكذب فيه أحد الزوجين على الآخر » ، أما ما قاله فهو كلام الموام من أشباهه . ومن أخطائه أيضا قوله : « تتساعل إن كان ما رواه الأولون حق أم شبهه الحق » (ص ٩٩) ، وصحته : « حقا » ، وقوله « وتكون رسالة الأنبياء وتكليفهم بالكرارة والدعوة حيث لا ضرورة له ولا فائدة منه » (ص ١٠٣) ، وتصويبه : « عبثا » ، وقوله : « ... بشرط أن تجماع رجالا غيره يسمى محلل » (ص ١٣٩) ، وصوابه : « يسمى محللا » ، وقوله : « يعتقدون أن أحكامها ملغية » (ص ١٩٨) ،

وتصحيحه : « مُلْفَاة » ، وقوله : « خاتوا نظام المجتمع بإثباتهم مسائلهم بعد صلاة العشاء » (ص ٢٠١) ، وصحته « وإثباتهم نساءهم » ، وقوله : « معروف أن لكل لغة أدباؤها » (ص ٢٠٣) ، وتصويبه : « أدباؤها » ، وقوله عن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه : « كانت له عند وفاته تسع سورة أحياء وسُورَتَيْن » (ص ٢٠٧) ، والصحيح : « وسُورَتَان » ، وقوله عن الرَّبَّاعِيَّةِ إنها « الأسنان الأربع الأمامية » (ص ٢٤) ، والصواب أنها الواحدة من هذه الأسنان الأربع لا كلها ، وقوله : « كانوا اثني عشر ألفا : العَشْرُ الذين حضروا فتح مكة ، وألفان انضموا إليه من الطلقاء : هوازن وقيفا » ، وفيه غلطتان قبيحتان : « العَشْرُ » وصوابها : « العشرة » (أي عشرة الآلاف الذين حضروا فتح مكة) ، ثم « وقيفا » ، وصوابها : « وقيف » (فهى معطوفة على « هوازن » ، التي هي بدل من « الطلقاء » المجرورة) ، وقوله : « فإذا أراد أن يزوج زينباً لابنه زيد ... » وإذا أراد محمد زينباً ... (ص ٢٤٧) ، وصحته « زينباً » بفتحة واحدة لأنه ممنوع من الصرف ... وهكذا .

ويبلغ غيـزُ هذا الجاهل أقصاه حين يخطئ القرآن الكريم في قوله تعالى : « من بعد ضراء مسته » ، إذ يتحلف في عالم منفيه مؤكداً أن وضع فتحة على همزة « ضراء » خطأ لأنها مجرورة ، ومن

ثم يجب وضع كسرة^(١) تحتها (مر ١٠٨). وفات هذا الأرعن أن
«ضراء» ممنوعة من الصرف فتجرّ بفتحة واحدة كما هي في الآية ،
أما الجرّ بالكسر فلا تعرفه العربية إلا بكسرتين التثني لا بكسرة واحدة.
بل إنه ، لفرط جهله ، يخطئ في نقل لكة قرآنية دون أن يحسن بأنه قد
أنى شيئا ، ومرجع ذلك إلى بلادة إحساسه . جاء في كلامه عن نوح
عليه السلام أن القرآن يقول « وجعلنا فرجه هم الباقون »
(الصافات / ٧٧) ، وهي تنصب « الباقين » لا يرفعها كما كتبها
الأحمق .

وإن الإنسان ليلهل من إقدام مثل هذا الجاهل الغشوم الذي
يخطئ تلك الأخطاء الأولية على تخطئة القرآن الكريم . بيد أننا ، عند
مراجعة الأمر جيدا في ضوء منطق الأشياء وطبيعتها ، نرى ألا موضع
للدهول ولا حى للاستغراب ، إذ ما أسهل أن يخطئ الجاهل الذي لا
يعصر ولا يقرر على التمييز بين الصواب والخطأ عبط عشواء ، وفي
حساباته أنه يحسن صنعا ! ولولا أن هناك جهلة مثله يمكن أن
يتخذوا بمثل هذه التشويشات ما بآلتنا بها ولا يتوجه النظر إلى ما
فيها من سخف وضلال . وعلى هذا فبهركة الله نبدأ فتناول تخطئاته
الغشوم مبينين ما فيها من تفاعلة وجهل :

(١) كسرة واحدة . لاحظ ا

١ - يقول (ص ١٠٧) إن « الصابغون » في قوله تعالى في الآية ٦٩ من سورة « المائدة » : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والصابغون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » كان يجب أن تنصب لأنها معطوفة على « الذين آمنوا » الواقعة اسما لـ « إن » . وقد كان كلامه يكون صحيحا لو أنها معطوفة فعلا على « الذين آمنوا » ولم يكن لها إعراب آخر يهدف إلى نكتة بلاغية لا تتوفر في الإعراب الذي رجمه . وهذا الإعراب الآخر قد أومأت إليه إجماع بالطريقة التي استعملت بها علامات الترقيم في الآية ، حيث وضعت عبارة « والذين هادوا ... وعمل صالحا » بين قاصلتين بما يدل على أنها عبارة اعتراضية ، ويكون تقدير الكلام هكذا : « إن الذين آمنوا لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وكذلك الذين هادوا والصابغون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا » . أي أن « الذين هادوا » مبتدأ خبره كلمة « كذلك » ، فهو إذن مرفوع ، وكذلك المعطوفان عليه : « الصابغون والنصارى » . وقد حذفت كلمة « كذلك » ، وانتقلت جملة المبتدأ والخبر لتحل المكان الذي يفصل بين اسم « إن » وخبرها . أما النكتة البلاغية في الآية فهي الإشارة إلى

أن اليهود والصابئين والنصارى هم أيضاً من يستطيعون النجاة يوم القيامة إذا دخلوا فيها دخل فيه المسلمون من الإيمان بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات ، بمعنى أن الجنة في الإسلام ليست مقصورة على العرب وحدهم بل هي مفتحة الأبواب حتى لليهود والصابئين والنصارى وأمثالهم ^(١) . أى أن الإسلام ليس كاليهودية مثلاً المقصورة على بنى إسرائيل فلا يمكن أن يشاركهم غيرهم في الهداية والنجاة لأن ربّ الكون إله خاص بهم ، والنجاة نجاتهم وحدهم ... وهكذا . فهنا ما أراده القرآن بصياغة الآية على ذلك النحو للموجز البليغ الذى لا يستطيع الجاهل أن يدركوا مراميهِ لأن القرآن لم ينزل على أمة من الجاهل المتحذلقين من أمثال هذا الأحمق بل نزل بالأسلوب الذى يفهمه العرب ، ومن ثم لم يجدوا فى هذا الإعراب ما يمكن أن يؤخذ عليه ، وإلا لملأوا الدنيا صراخاً واحتراضاً ، وهم الذين اتهموا الرسول ، كما ذكرنا ، بكل نقصة مما هو بعيد عنه بعد السماء عن الأرض ، إلا أنهم لم يحرموا حول اتهام لنته بالخطأ . وعناك من يوجهون الصابئين على أنها منصوبة رغم ذلك ، ولكن على لغة قبيلة بالحرث بن كعب ، الذين يهرون جمع

(١) للاطلاع أن علمائنا القدامى قد انتظروا جريه إعراب الصابئين ، قط كانوا
 من وجدوا المرفوعة . وآية من ذلك حتى هو ما قلته هنا ، والله أعلم .

المذكر السالم بالواو في كل الأحوال رفعاً ونصباً وجراً مثلما يبرهن
المتى بالألف دائماً في هذه الحالات الثلاث جميعاً، كما أن هناك
توجيهات أخرى لا نقف عليها .

ومن الشواهد على الإعراب الذي اخترناه بيت ضامي البرجسي
المشهور الذي يتحدث فيه عن غرته بالمدينة هو وقَّار قَرِيْب :

فَمِنْ يَكْ أُنْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَهُ فَيَأْتِي ، وَقَّارُ ، بِهَا لَقَرِيْبُ
وكذلك بيت بشر بن أبي حازم :

وإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَا ، وَالنَّم ، بُفَّةً مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

حيث نفي بضمير الرفع « أنتم » بعد الواو ، التي لو كانت واو عطف
كما وهم الأحمق الجهول لقال : « فاعلموا أَنَا وإياكم ... » بل
« أنتم » مبتدأ ، وخبره مطلق ، وجملة المبتدأ والخبر جملة اعتراضية .
ومما يجرى من الشعر أيضاً على هذه الصورة البيت التالي ، وهو من
إنشاد لعلب :

عَلِيٌّ ، حَلِ طَبَّ ؟ فَيَأْتِي ، وَالنَّمَا وَإِنْ لَمْ تَبْرَحَا بِالْمَهْرَى ، فَيَفْضَلُ
وقول ربيعة :

يَا لَيْتِي ، وَأَنْتِ ، يَا لِمَسْ فِي بِلْدَةِ لَيْسَ بِهَا أُنْسُ

وكذلك هذا البيت :

فمن يك ثم يتجيب أبوه وأمه فإن لنا الأمّ النجيبة والأب

وهذا البيت أيضاً :

وما قصرت بي في القساسة عرولة ولكن عسى الطيب الأصل والحال



٢ - ويقول الكاتب النزقي (ص ١٠٧) إن في نصب « الظالمين »
في قوله تعالى في الآية الرابعة والعشرين بعد المائة من سورة « البقرة » :
« قال (أى الله لإبراهيم) : لا ينال عهدى الظالمين » خطأ لأنها فاعل ،
فكان يجب أن يقال : « لا ينال عهدى الظالمون » . وقد قال علماءنا
القديمى في تفسيرهم لهذه الآية إن هناك قراءتين : إحداهما هي هذه
التي بين أيدينا ، والأخرى بالرفع ، ووجهها ذلك قالين إن المعنيين
مستقاربان لأن كل ما نقلته فقد نال ذلك . وقد لاحظت أن بعض الآيات
التي ورد فيها هذا الفعل قد وردت على نحو آيتنا هذه ، وبعضها الآخر
بالعكس . ومن الأخيرة قوله تعالى : « ليلوكنكم الله بشىء من الصيد
تأله أيديكم وروماحكم »^(١) ، وقوله : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما

(١) المائدة / ٩٤ .

عجوب^(١)، ومن الأولى قوله : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم »^(٢) . وقد يصح أن نذكر هنا أيضاً قوله تعالى على لسان زكريا في حديثه عن تقدمه في السن في الآية ٤٠ من « آل عمران » والآية ٨ من « مريم » على الترتيب : « وقد بلغتني الكبر » ، و« لم أرني عاقراً » ، « وقد بلغت من الكبر عتياً » حيث أتى الضمير المفرد على زكريا عليه السلام في الأولى مفعولاً به و« الكبر » فاعلاً ، وفي الثانية فاعلاً ، و« الكبر » متعلقاً بالمفعول به . وفي كل من التركيبين نكتة محاسة ، إذ نوحى الأولى بأنه قد قطع الشوط الأكبر من مسيرة الحياة ، على حين نوحى الثانية بأن الكبر يطارده ويسعى إلى اللحاق به ، بينما يحاول هو قوته ، لكن الكبر يدركه في نهاية المطاف .

وهوذا إلى أيننا نقول إن « العهد » المذكور في الآية قد تم بين الله سبحانه وإبراهيم عليه السلام وانتهى الأمر ، فلم يعد ثمة مجال للنقول بأن ذرية إبراهيم يمكن أن تدركه أو لا تدركه ، لكن من الممكن القول مع ذلك بأنه يصدق على بعضهم ولا يصدق على بعضهم الآخر حسب استحقاقهم ذلك أو عدمه . أي أن معنى الآية :

(١) آل عمران / ٩٢ .

(٢) الحج / ٣٧ .

« لا يَصْدُقُ عَهْدِي عَلَى الظَّالِمِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ». وهذا هو الوجه الذي
أخترته ، وإن كنت لا أَقْلُ من شأن ما قاله علماءنا رحمهم الله .
وهذا التركيب وردت الآيات التالية : « لن ينال الله لحومها ولا
دمها ، ولكن يناله التقوى منكم » ، أولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب ،^(١) « إن الذين اغفلوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وذلك في الحياة الدنيا »^(٢) . وبه أيضاً وردت الجملتان التاليتان في
الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى : « لذلك نالتا هذه الشدة »^(٣) ،
« لم ينالكم من قبلنا خسران في شيء »^(٤) .

وقد رجعت ، رغم ذلك كله ، إلى عدد من المعاجم التي ألفها
نصارى لأرى ماذا تقول عن هذا الفعل ، فوجدت « البستان »
وهو « الوافي » لعبد الله البستاني ، و « المنجد » المشهور ، و « الرائد »
لجبران مسعود تقول جميعاً في مادة « ن ي ل » : « نالني من فلان
معروف » ، أي وصل إليّ منه معروف . وفي « مدّ القاموس » لإدوارد
وليم لين (Edward William Lane) في المادة ذاتها أن من معاني

(١) الأعراف / ٣٧ .

(٢) الأعراف / ١٥٢ .

(٣) تكوين / ٤٢ / ٢١ .

(٤) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثس / ٩ / ٧ .

الفعل « نال » : « It reached him, came to him » ، بمعنى « وصل إليه » ، أى أن هذا الفعل يقع كذلك من الشيء على الشخص كما تفيد العبارة الإنجليزية بكل جلاء . وأحسب بعد ذلك كله أنه ينبغي على المجتهدين أن يحرصوا ولا يفتخروا فمهم بكلمة ١



كذلك يخطئ الدهى قوله تعالى فى الآية ٥٦ من سورة «الأعراف» : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، حيث ورد خبر «إن» مذكراً على حين أن اسمها مؤنث ، « وكان يجب (حسبما يقول) أن يتبع خبر «إن» اسمها فى التأنيث فيقول : قريبة » (ص ١٠٧) . وهو كلام يبعث على القهقهة ، إذ يشبه تصدى طفل فى الروضة لسببه يبنى بخطئه . إن مثل هذا الأحمق لا يعرف أن الأسلوب العربى الأصول كثيراً ما يتبنى على صيغة التذكير فى الصفات التى على وزن « فَعِيل » إذا كانت بمعنى « مفعول » مثل « لحية دمين » و « كفٌ خضيب » و « امرأة جريح » و « ناقة طمئن » ، أو إذا كانت بمعنى « ذات كذا » على تأويل « إن رحمة الله ذات قُرب من المحسنين » ، أو للتمييز بين قرابة النسب ومعه وبين قرابة المسافات ومُعناها . ولما اعتبارات أخرى تُقلب فى مظانها من

الكتب الموسعة نضرب عنها صفحا لأننا لا نبغي التكثر ، بل كل
 همنا أن نوضح لخالق الذهن عن قد يقع فيه هذه التشويشات
 الطفولية أن الأمر أحق مما يتوهم به هذا الصغير^(١) . ومن ذلك أيضا
 الآية ١٧ من « الشورى » : « وما يدريك ؟ لعل الساعة قريب » ،
 والآية ٦٣ من « الأحزاب » : « وما يدريك ؟ لعل الساعة تكون
 قربا » ، والآية ٨٣ من « هود » : « وما هي من الظالمين يحميد » ،
 والآية ٣١ من « ق » : « ولزلفت الجنة للمتقين غير بعيد » ، والآية
 ٧٨ من « يس » : « قال : من يحيى العظام وهي رميم ؟ » ، والآية
 ٢٩ من « الذاريات » : « حورٍ حقيم » ، والآية ٤١ من « النور » ،
 « أرسلنا عليهم الريح العقيم » ، والآية ٨ من « الإسراء » : « وجعلنا

(١) وما تختلف منه لفظ « فاعل » ، الصفات التي على وزن « فاعول » بمعنى
 « فاعل » مثل « امرأة فاعول » و « بمن خموس » و « حسانة حقول » ، وكذلك
 بعض الصفات التي على وزن « فاعل » مما تفرد به النساء مثل « طالق »
 و « حافض » ، و صفات المباعدة التي على وزن « مفعال » مثل « فقاء ميطار »
 و « طالبة مهلترة » . وعلى الناحية الأخرى نجد للرجال صفات مفعولية - « فاعول »
 « فاعل » مثل « حلاوة » و « رخالة » و « نساء » و « فحانة » ... وهكذا .
 المسألة إذن ليست بالبساطة ولا الخفة التي يظنها هذا الجهول . ولي « أقصد
 الحق » يوجد سفر بعنوان « البعثة » ، وهو لقب لسليمان رخم صبيته الفاتية .
 ظاهرا بابل هذه ، ولهم في نفس الوقت الدنيا وهمها بسبب « لبيب » ، التي
 وصفت بها « الرحمة » و « الساحة » في القرآن ؟

جهنم للكافرين حصيرا . أقرى القرآن قد أخطأ في ذلك كله
 ومكت عنه للمشركون فلم يستغلوا هذه الأخطاء التي كان من شأنها
 أن تضربه في الصميم ، إلى أن جاء هذا الصغير الهجاء فأكشفها ؟
 ومن شواهد ذلك الاستعمال في الشعر العربي القديم قول امرئ
 القيس :

له الولد إن أمسى ولا لم هاشم قريبا ولا البساسة ابنة يشكرا
 وقول حميد بن الأبرص :

فَقَضْتُ رِيشَهَا وَاتْتَفَضْتُ وَهِيَ مِنْ نَهْضَةِ قَرِيبٍ
 وهذا البيت الذي ورد بالصيغتين التاليتين :

عَشِيمَةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ



لَهَالِي لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ فَتَسْلَى وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ

وقول تأبط شراً يصف الغول : « فَعُخِرْتُ صَبَاحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ »
 وقول حميد بن الأبرص أيضا : « قَلِيلًا بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا عَوَازُهَا » . وما
 جاء في شعر الأعشى من استعمال صيغة «فعل» للمؤنث : «الْخَمَرُ
 الْعَتِيقُ» ، و«كَلَّتْ (أى الناقصة) طَلِيحَا» و«(ناقصة) مَقْلَاتُ
 دُهْنٍ» . وفي شعر المتنبي العبدى نقرأ في وصف الناقة : « مَاهِرَةٌ

دهين « (والدهين : القليلة اللين) ... إلخ .

وفى « مذ القاموس » لوليم إدوارد لين و « محيط المحيط »
لبطرس البستاني و « البستان » لعبد الله البستاني و « لاروس »
(المرى) ، وكلها (كما ترى) معاجم ألفها نصارى ، أن الصفة
« قريب » إذا كانت للقرب المكاني أو الزماني تُستعمل بصيغة واحدة
للمذكر والمؤنث والمتنى والمفرد والجمع . ومن ذلك قول السموأل
اليهودى :

تَمَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ حَبِينَا قَلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

بل إن من المفهومين من يخطئ إلحاق تاء التأنيث فى قولنا مثلاً :
« قلانة جريح »^(١) .



٤ - ومن جرأة هذا العيب تخطئته قوله عز شأنه عن بنى إسرائيل
فى الآية ١٦٠ من سورة « الأعراف » : « وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ
أَسْبَاطًا أَمْثَلًا » ، إذ « كان يجب (فى وهمه) أن يذكر العدد ثمانى
بمفرد المعلوم فيقول : اثنى عشر سبطاً » (ص ١٠٧) ، مع أنه لا وجه

(١) نظرد . إميل يعقوب / معجم الخطأ والصواب فى اللغة / دار العلم للملايين /

لوجوب هذا التركيب ، بل التركيبان كلاهما جائزان ، لكن الجاهل يحسب أنه لا يصح إلا ما يعرفه فقط رغم أن ما يعرفه لا يبدو أن يكون خاتمة من الفتات . وتوجيه الكلام في الآية هو على النحو التالي : « وقطعناهم اثنتي عشرة (قطعة ، وجعلنا هذه القطع) أسباطاً أئمة . فـ « أسباطاً أئمة » بدل من « اثنتي عشرة » وليست تمييزاً لها . ويتضح ما نقول إذا حكمنا التركيب فقلنا : « وقطعناهم أسباطاً أئمة اثنتي عشرة » . ومثلها في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى في الآية ٢٥ من « الكهف » : « وليثروا في كهفهم ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا » بدلا من « ثلاثمائة سنة » في التركيب المعتاد ، وكلاهما صحيح . والمعنى : « وليثروا في كهفهم سنين ثلاثمائة » .

وقريب من ذلك قول كاتب سفر « العدد » من كتابهم المقدس في الفقرة ١٣ من الفصل التاسع والعشرين : « أربعة عشر حملاً حولياً صحاح » بجميع « صحاح » على أساس أنها قادمة لـ « أربعة عشر » لا لـ « حملاً حولياً » ، وإلا لقال : « أربعة عشر حملاً حولياً صحاح » مثلما فعل في سائر المواضع الأخرى من نفس الفصل ومثله ما جاء في الفقرة ١٧ من الفصل الثالث عشر من سفر « أخبار الأيام الثاني » من أنه قد « سقط قتلى من بني إسرائيل خمسمائة ألف رجل متخبرون » بدلا من « خمسمائة ألف رجل متخبر » بالافراد

والجبر لا بصيغة جمع للذكر السالم المرفوع . ومثل الآية القرآنية بالاضبط ما جاء قبل ذلك في الفقرة الثالثة من نفس الفصل من أن إبراهيم قد صلب أياً « بثمانمائة ألف متخمين من جبابرة البأس » وما جاء في الفقرة ١٧ من الفصل الحادي عشر من السفر نفسه من أنه كان مع الأعداء « مائتا ألف مسلحون بالقسي والنبوس » ، ومع يوزاباد « مائة وثمانون ألفا متجردون للحرب » ... إلخ .



• - ومن مخافته الطفولية أيضاً توهمه أن من الواجب تغيير قوله تعالى في الآية ١٩ من سورة الحج : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » ليصبح « هذان خصمان اختصما في ربهم » (ص ١٠٧) . وهو في هذا يشبه صبياً صغيراً يحسك بمسطرة صغيرة في يده يريد أن يقيس بها جبل الهملايا . ألا فليعلم وليتعلم هو ومن صدره لتخطئة القرآن وطبعوا له كتابه وأطلقوه لينجح الإسلام أن كلمات مثل « خصم » و « طائفة » و « حزب » و « فريق » ، وإن انحلت صيغة الأفراد ، تدل على جماعة من الناس . وقد وردت الضحائر المائدة على هذه الكلمات في القرآن بصيغة جمع المذكر بناءً على هذا الاختيار . قال تعالى : « وهل أتاك بآ الخصم إذ تسوروا

المهراب ؟ (ص / ٢١) ، « وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ »
 (آل عمران / ٦٩) ، « ثُمَّ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَمِّ أَمْنًا نَعَمًا وَبَشْرَى
 طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
 الْجَاهِلِيَّةِ » (آل عمران / ١٥٤) ، « فَلَتَقَمَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَمَكًا وَلِيَأْخُذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ ، فَاذْ سَجَدُوا ، فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلِيَإْخُذَ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ
 يَصِلُوا فَلْيَصِلُوا أَمَكًا » (النساء / ١٠٢) ، « فَلَا تَقْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
 مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ » (التوبة / ١٢٢) ، « فَإِنْ حَزَبَ اللّهُ
 هُمُ الْغَالِبُونَ » (المائدة / ٥٦) ، « كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَمْ يُحِبِّمْ فَسُحُونَ »
 (الروم / ٣٢) ، « أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (المجادلة / ٢٢) ،
 « إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (فاطر / ٦) ، « وَقَدْ
 كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّهِ ثُمَّ يَرْفُؤُهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا بِهِ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ » (البقرة / ٧٥) ، « نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ
 اللّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (البقرة / ١٠١) ، « وَاسْتَأْذِنَ
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ : إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ » (الأحزاب / ١٣) ، « إِنَّ
 نَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ »
 (آل عمران / ١٠٠) .

هذه واحدة ، وثلاثية ثمة إذا تَنَبَّ « الخصم » لو « الطائفة » أو

«الفرق»^(١) في القرآن . فإنه يستعمل لها صميم جمع الذكور إذا كانت العلاقة بين الخصمين أو الطائفتين أو الفرقين علاقة خلاف مثل : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » (الحج / ١٩) ، « إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا : لا تخف ، خصمان بنى بعضنا على بعض » (ص / ٢٢) ، « وإن طائفتان من المؤمنين لقاتلتوا فأصلحوا بينهما » (الحجرات / ٩) ، « فإذا هم فرقان يخصمون » (النمل / ٤٥) . ويدل على أن الحكمة من وراء ذلك هي الإيهام ما يستتبعه الخصومة من اشتباك وتداخل بحيث يمزج بعضهم في بعض ولا يهودان منفصلين أو متمايزين . وهذا كله مما لا يقدر أمثال هذا الجاهل أن يتركوه من تلقاء أنفسهم . ولعله بعد يد المساعدة التي مُدَّت له يكون قد استوعب الدرس ، وإن كنت أشك كثيرا في ذلك لما يبدو من بلادة ذهنه وسواد قلبه تجاه سيدنا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .



٦ - أما الخلطة السادسة التي لا وجود لها إلا في ذهن ذلك المأفون المسكون بالأوهام والضلالات فهي زعمه أنه كان يجب أن يقال : « ونُخَضِّمُ كَالَّذِينَ خَاضُوا » بدل قوله تعالى في الآية ٦٩ من

(١) أما كلمة « حزب » فلم تأت في القرآن مثابة .

سورة « التوبة » : « وعرضتم كالذى خاضوا » (ص ١٠٧) ، أى أن المشبه به ، فى نظره الكليل ، هو جماعة أخرى من المخالفين . وقيل أن أفند هذا التنطع الفشوم أحكى القصة التالية : فقد حضرت ، وأنا فى أكسفورد فى أواخر السبعينات ، محاضرة لشاب متحلق من المستشرقين كان حتماً طويل اللسان مع طلابه ، فسمعتة يقول أثناء المحاضرة إن فى القرآن شذوئات لغوية ، فانتظرتُ حتى انتهى الدرس وعرج فخرجت معه أسأله أن يضرب لى أمثلة على هذا الذى يذهب به ، فأشار إلى هذه الآية قاللاً : تجد الإشارة إليها فى تفسير الطبرى . ولم أكتب غيرها ونزلت فى الحال إلى مكتبة المعهد وقأيت تفسير الطبرى فلم أجده ذكر شيئاً من ذلك ، فقلت : أنظر فى تفسير النيسابورى الذى على حاشيته ، فوجدته ، بعد أن شرح الآية على أساس أن معناها : « وعرضتم (أيها المنافقون) كالغوض الذى خاضه أمثالكم فى الأزمنة السابقة » ، قد أضاع هذه العبارة : « وقيل : أصله « كالذين » فحذف النون . فاستغرتُ من تدليس المستشرق الصغير الذى أكد لى بقوة أن الطبرى هو قائل ذلك ، بل لقد أوقع كلامه أن هذا هو التفسير الوحيد الذى قال به ذلك العلامة الجليل . وكل ذلك غير صحيح كما قلت ، بل قاله هو النيسابورى ، الذى أرجأه إلى ما بعد الفراغ من التفسير الذى ذكرته ، وأورده بصيغة التمهض :

« قِيلَ » ، التى تدل على أنه غير مقتنع به . والشاهد فى هذه القصة أن صريحنا إنما يردد ما يلقنونه إياه دون فهم كاليغاء !

ولنورد الآية من بدايتها حتى تنجلي الحقيقة لمن لهم أعين يصرون بها ، وأذان يسمعون بها ، وقلوب يفقهون بها ، أما الذين ختم الله على قلوبهم ، وجعل فى آذانهم وقرا ، وعلى عيونهم غشاوة ، فهؤلاء ميؤوس من حالهم . تقول الآية ، وقد وردت فى سياق تصنيف المناققين وفضح مؤامراتهم والأعياب الصبائية وخوضهم العاث فى سمعة النبى عليه السلام وفى آيات القرآن : « كالذين من قبلكم . كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فاستمتعوا بخلافهم ، فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم وخضتم كالذى خاضوا » . وواضح تماما أن الآية تقول إن المناققين قد استمتعوا بنصيبهم كاستمتاع من قبلهم بنصيبهم ، فما الذى يقتضى المنطق أن نفسر به الجملة التالية بعد ذلك فى الآية ؟ أليس من الطبع أن نقول : « وخضتم كالخوض الذى خاضوه » حتى ينسجم الكلام بعضها مع بعض ويكون المشبه به فى الجملتين هو استمتاع من قبلهم وخوضهم ؟ لو قلنا : « استمتعتم كاستمتاعهم ، وخضتم كالذين خاضوا » لذهب الانسجام من الآية

على الفور وأصبحت قلقة . ثم ما معنى « وخضتم كالذين خاضوا » ؟
 وإذا كان المقصود هم الذين قبلهم ، فلماذا لم تستعمل الآية الكريمة
 الضمير بدلا من الاسم الموصول فتقول : « وخضتم مثلهم » بخص
 النظر عن غرض المعنى ؟ ولنفترض أننا ضربنا صفحا عن ذلك كله
 وقلنا إن المقصود فعلا هو « وخضتم كالذين خاضوا » ، فهل يكون
 ذلك خطأ لغويا ؟ كلا . ذلك أن المفترى الذي شرحها هذا الشرح قد
 أقام كلامه على أساس أن من العرب القدماء من كان يستعمل
 « الذي » بمعنى « الذين »^(١) . ليست المسألة إذن مسألة خطأ بل
 مسألة فصاحة وعدمها ، وهذا هو الذي دفعني إلى سوق الأسباب
 المنطقية والبلاغية التي تجعلني أرفض ذلك التفسير ، وهذا كل ما
 هنالك^(٢) .



(١) ومن ذلك قول الأشهب بن رمية :

وإن الذي حلت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
 كما أن من العرب القدماء أيضا من كانوا يستعملون في حالة الرفع « الذين » ،
 وفي حالة النصب والجر « الذين » . ولقد لهم إلام يكتب النحو الموسعة
 يعرفون جريما البيت الذي يقول صاحبه : « نحن الذين صبحوا الصبا ... » ،
 وهي لغة أهل اليمن .

(٢) سبق أن تناولت هذه المسألة بما فيها قصة المستشرق الصنبر في كتابي « من
 الطبرى إلى سيد قطب - دراسات في منابع التفسير ومناهجه » (دار الفكر
 الطبعة / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م / ١٦٥ - ١٦٧) .

٧ - ونبليغ الاعتراض السابع ، وفيه يقول هبتنا الفاضل (الذي
يمتلئ كتابه الحقيق بالأخطاء النحوية الأولية ثم يأس في نفسه الوقاح
الجرأة على التهجم على لغة القرآن الكريم رهونة منه وطيشا) إن في
قوله تعالى في الآية ١٠ من سورة المنافقون : « : وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ : رَبِّ ! لَوْلَا أُنْفِقْتُ
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُّ مِنَ الصَّالِحِينَ » خطأ نحويا ، إذ كان
المفروض (حسبما يقول) أن ينصب فعل الكيتونة عطفا على
« أَصَّدَّقْتُ » (ص ١٠٨) . ولنا على يقين أنه لا يعرف لم نصب هذا
الفعل الأخير . إنما هو كلام وصيغ على لسانه فردده كالبيان دون أن
يبي معنى أو يترك مغزى . أجل ، لنا موقف تمام الإيقان أنه لا يلهم
أن سبب نصب هذا الفعل هو مجيء بعد « فَأَه السبيبة » ، لكن فلننظر
هذه ولتسارع إلى القول بأنه ما دام القرآن قد استعمل لفظا أو تركها
أو إعرابا ما فهو صواب لا يأكده الغلط من بين يديه ولا من خلفه حتى
لو قلنا إن الرسول عليه السلام هو مؤلفه ، فهو عربي تؤخذ منه اللغة
ولا يراجع في شيء منها ، فضلا عن أن أحدا من المشركين أو
المنافقين أو نصارى العرب ويهودهم لم يتعرض على شيء من لغة
القرآن رغم حرصهم على التشكيك فيه بكل وسيلة .

وعلى أية حال فإن في جزم فعل الكيتونة في الآية الكريمة مغزى

دقيقا ، وهو أن قاتل هذا الكلام ، رغم تمنّيه تأجيل موته قليلا ، يعلم أن الاستجابة لأمنيته أمر مستبعد . كيف ذلك ؟ المعروف أن « إن » الشرطية تدل على استبعاد وقوع الشرط أو استحالة ، ومعنى الكلام على أساس جزم « أَكُنْ » هو : « لولا أعصرتني إلى أجل قريب فأصدق ، وإن حدث هذا أكن من الصالحين » . أى أنه يصرف أن تأخير موته إلى أجل قريب هو من الاستحالة بمكان . ألم يقل القرآن : « إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ^(١) ؟ ألم يكن جواب الله الله على من سأله الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا لعله يعمل صالحا ينجيه عما هو فيه من هلاك النار : « كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » ^(٢) ؟ ألم يعقب القرآن على من نطقوا بكلمة الإيمان في سَفَر قاتلا : « أتى لهم التناوش (أى كيف يمكنهم أن يفوزوا بالإيمان) من مكان بعيد (أى بعد أن انقضت الدنيا ولم يعد من سبيل إلى تدارك ما فات) ؟ ؟ » وعلى عادة القرآن الكريم نراه قد أدى هذا المعنى بغاية الإيجاز ، إذ لم يفعل أكثر من تسكين نون « أكون » بدلا من فتحها . وهذه هي

(١) يونس / ٤٩ .

(٢) المؤمنون / ١٠٠ .

البحولة القرآنية المعروفة ، أما الصغار التافهون فأنى لهم أن يفهموا ذلك ؟

هنا ، وللقلماء توجيه آخر يختلف بعض الشيء عن توجيهي ، إذ يقولون إن « أَكُنَّ » قد جُزِمَتْ عطفا على موضع « فَأَصْدَقَ » على أساس أن تقدير الكلام هو : « إن تؤعزني أصدق » . وهو توجيه مشكور ومقدور ، لكن ما قلته يذهب إلى الهدف مباشرة دون التعرج هنا أو ههنا ، علاوة على أنني شفعت بالمفرد الذي أحسب أن الآية قد أرادت الإيماء إليه ولم أسقّه مجردا كما فعل أجدادنا ، رضى الله عنهم وأثابهم على جهودهم وسبقهم . وتمة لهذا البحث نقول لمن يزعم أن يتعلم يفهم إن طريق الإعراب ، وبخاصة قبل جمع اللغة وتلويحها ، أوسع كثيرا مما يُظَنُّ : فمثلا في قولنا : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » نجد أن الفعل « تشرب » يجوز فيه الرفع والنصب والمجزم ، وفي قولنا : « لا حول ولا قوة إلا بالله » يجوز في إعراب اسم « لا » والمطرّف عليه عدد من الصُور تزيد على عدد أصابع اليد ، وفي قولنا : « ما كلُّ ما يلمع ذهباً »^(١) يجوز رفع الخبر ونصبه ... وهكذا ، إلا أن المملودى الأفق يتخلّصون فيوقعون أنفسهم

(١) هنا مثل إنجليزي فرنسي ، ونصه في هاتين اللتين هو :

"All that glitters is not gold", " Tout ce qui brille n'est pas or".

في المعاطب ! والمناسبة فتم قراءة أخرى بنصب « أكون » ، وكلتا
القراءتين عربية بليغة ، وكل ما في الأمر أن لكل منهما مغزى غير
الذي للأخرى .



٨ - أما الاعتراض الثامن فهو قول الأخير إن الضمير في كلمة
« بنورهم » من قوله تعالى عن المنافقين في الآية ١٧ من سورة
« البقرة » : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم » كان يجب أن يكون مفردا فيقال : « ... كمثل
الذي استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره »
(ص ١٠٨) . والحق الذي كررناه مرارا هو أن القرآن متى قال شيئا فهو
صواب مليوناً في المائة ، إذ كلامه هو القاعدة التي يقاس عليها ولا
يصح أن يحاكمه أحد إلى غيره ، وإلا قلنا الأمور بذلك رأسا على
عقب . إن معنى الآية هو : « مثلهم (أي مثل المنافقين مع رسول
الله) كمثل الذي استوقد نارا (لرفاقه) ، فلما أضاءت ما حوله ذهب
الله بنورهم (أي بنور أولئك الرفاق) » . والسبب في أخذى بهذا
التفسير هو أن المنافقين لم يحدث أن استوقدوا نارا ليرؤا على ضوءها
الحق والهدى ، إذ ليست هذه شعبة المنافقين ، بل الذي استوقدها

هو الرسول عليه السلام ، فقد أتى بنور القرآن هداية للبشر ، لكن
 المنافقين ضلُّوا أعينهم وأغفلوا قلوبهم في وجه دعوته وهدايته ، وهو
 ما عبّر عنه القرآن بأن الله قد ذهب عندئذ بنورهم ، أي بمقتلهم
 على الرأية والاستجابة للناسي الخير .

وتركيب هذه الآية بما فيه من ألفاظ مخلوقة يشبه قوله عز وجل
 في الآية ١٧١ من نفس السورة : « وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي
 يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنْلَاءَ » ، أي « مثل الذين كفروا (مع
 رسول الله) كمثل (الراعي) الذي ينفق بما لا يسمع (من البهائم)
 إلا دعاء ونْلَاءَ » ، إذ إن ما يقول الراعي حينما ينفق بها لا يندو ،
 بالنسبة إليها ، أن يكون مجرد أصوات يدعوها بها لا أكثر ، أما معناه
 على وجه التعمين فشيء ينفق إدراكها تمام الفوت^(١) . ومثله
 كذلك قوله تعالى في الآية ٢٦١ من ذات السورة : « مَثَلُ الَّذِينَ
 يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِي
 كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ . ذَلِكَ أَنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَشْهَوْنَ الْحَبَّةَ » ، بل الذي
 يشبهها هو ما ينفقونه من مال . وتقدير الكلام هو : « مثل الذين

(١) وقد قال المفسرون القائلون بذلك في بعض أقوالهم في تفسير هذه الآية ، ولا
 أفرى لنا لما لم يقولوا به أيضاً في الآية التي نحن بصددنا .

يتفقون أموالهم في سبيل الله (مع ما يتفقونه) كمثّل (الزارع مع ما يذرّه من) حبة أثبتت سبع مناهل...^(١). وهذا من أساليب القرآن الموجهة المحكمة التي تعتمد على نقطة السامع أو القارئ واكتفائه بالقليل من تطويل الكلام حيث لا تكون هناك نكتة بلاغية في تطويله .



٩ - ومن الإيجاز القرآني البالغ نَصَبُ «المقيمين الصلاة» في قوله جل جلاله في الآية ١٦٢ من سورة «النساء» : «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة ، والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما» ، بهدف تخصيصهم بالذكر على سبيل المدح لبيان أهمية الصلاة في الدين ، إذ هي الرباط الذي يصل المؤمن به به ويجعله دائما على ذكر منه . وليس المقصود مجرد «المصلين» بل «المقيمين الصلاة» ، أي الذين يؤدونها على وجهها ، وتظهر في قلوبهم وأعمالهم ثمرتها ، فهؤلاء هم الجديرون بالمدح لا الذين يأتون

(١) وقال المفسرون القديس ذلك أيضا في تحليلهم لهذه الصورة

الصلاة وهم كسالى مراعاة للناس أو لجرد التخلص من عبثها . والمعنى على ذلك هو : « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون ... » وخاصة المقيمين الصلاة ، والمؤمنون الزكاة ... » أو ما أشبه . وهذا من وظائف الإعراب فى الأسلوب العربى الأصولى ، إذ بإبدال حركة بحركة أو حرف بحرف يستغنى المتكلم عن لفظة أو جملة بأكملها . ومن ذلك قول خرنق بنت هذاف :

لا يَمُدُّنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُو سَمَّ الْمُدَّةَ وَأَفَّةَ الْجَزِيرِ
الْفَازِلِينَ بِكُلِّ مَعْمَرِكِ وَالطَّيِّبُونَ مَعَالِدَ الْأَزْدِ

وهذان البيتان أيضا :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَإِنِ الْهَمَا مَ وَلِيَتْ الْكَتِيبَةَ فِي الْمَزْدَحَمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَغْمُ الْأُمُو رَ بَلَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّحْمِ

وكذلك قول ابن الخياط :

وَكُلَّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ سَيِّدِهِمْ إِلَّا نَمَرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ عَادِيهَا
الظَّالِمِينَ وَلَمَّا يُظْهِرُوا أَحَدًا وَالْقَاتِلُونَ : لِمَنْ دَارَ نَحْلُهَا ؟

يبد أن جاهلنا الذى لا يفقه شيئا فى العربية يتناول على الآية الكريمة قائلا : « كان يجب أن يرفع المظلوم على المرفوع فيقول :

والمقيمون الصلاة » (ص ١٠٨) . ترى ماذا هو قائل إذا ذكرنا له أن كلمة «الكريم» في قولنا مثلاً : «ذهبتُ مع محمدٍ الكريم» يجوز فيها، إلى جانب الخفض، الرفعُ على تقدير «ذهبت مع محمدٍ، الذي هو الكريم» ، وكذلك النصب على تقدير «ذهبت مع محمدٍ، أهني الكريم لا غيره» ، أو إذا قلنا له إن كلمة «خَرِب» في العبارة المشهورة : «هذا جَحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ» يجوز رفعها نعتاً لـ «جَحْرٌ» ، وهو الأصل ، كما يجوز خفضها مجاورتها كلمة «ضَبٌّ» المجرورة ، أو إذا قلنا له إنه يجوز في الجملة التالية : «ولم يكن لهم من رأس مال غير جِذْمٍ واعتمادهم على أنفسهم» رفع كلمة «غير» ونصبها وجراً؟ صحيح أننا الآن نميل إلى إجراء إعراب واحد في كثير من هذه الحالات ، لكن الأسلوب القديم الأصيل يتحتج بمرونة تفتقد لها أساليبنا الحديثة التي تُراعَى فيها القواعد العامة عادة . لِمَا ما يكن الأمر فلا ينبغي للجهلة أن يستعملوا بجهلهم على القرآن الكريم .



١٠ - أما ما تقدم عليه هذا الطائفة من تخطئة قوله تعالى في الآية العاشرة من سورة «هود» : «وَلَقَدْ أَذْنَتْهُ نَعْمَاءٌ مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهَ لَقَوْلُنَّ : ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي » فهو فضيحة الدهر ، إذ معناه أنه

لا يَلَمُّ حتى بالقواعد الأولية التي يعرفها تلميذ المرحلة الابتدائية .
 قال ، فضل الله فاه : « كان يجب أن يجزَّ للمضاف إليه فيقول : بعد
 ضراءٍ مسته » (ص ١٠٨) . والحمد لله أن عرف هذا المنكوس أن
 « ضراء » مضاف إليه ، أما ظنه بأن جرَّها يستلزم وضع كسرة (واحدة)
 تحت آخر حروفها فمما يضحك المَكْرُوب ، إذ معناه أولاً أنه لم يسمع
 بأن الممنوع من الصرف لا يُجرَّ بالكسر بل بالفتح (بفتحة واحدة) .
 هذه واحدة ، والثانية أن الكلمات التي تُجرَّ بالكسر لا بد أن توضع
 تحت آخر حروفها كسرتان لا كسرة واحدة ، لأن الكسرة الواحدة هي
 علامة بناء لا إعراب .



١١ - وفي قوله تعالى في الآية ٨٠ من سورة «البقرة» حكاية
 لمزاحم اليهود وأمانيهم الباطلة من أنهم ، لكونهم أبناء الله وأحباءه ،
 لن تمسهم النار بسبب ذنوبهم «إلا أياماً معدودة» يقول العبد
 الفاضل : « كان يجب أن يجمعها (أي يجمع كلمة «معدودة»)
 جميع قلة حيث إنهم أرادوا القلة فيقول : أياماً معدوداته
 (ص ١٠٨) . والسؤال هو : وهل عرف هذا الجهول على وجه اليقين
 عدد الأيام التي سمكتها اليهود حسب اعتقادهم في النار قبل أن

يتكلم عن أى التعبيرين أصحح لها من الآخر ؟ ثم هناك سؤال ثانٍ :
 ترى من قال له إن أحد التعبيرين يدل على القلة ، والآخر على
 الكثرة ؟ إن الدلالة على القلة ناشئة من أن الأيام التى سبقضونها فى
 النار أيام يمكن عدّها بسهولة ، فصيغة المفعول من «عَدَّ» هى فى
 ذاتها الدالة على القلة بغض النظر عن إفرادها أو جمعها . ولقد وردت
 هذه العبارة ذاتها ، وعلى لسان اليهود أيضاً ، فى موضع آخر من
 القرآن ، مع استبدال كلمة «معدودات» بـ «معدودة»^(١) بما يدل
 على صحة ما قلت . كما أن معظم المفسرين الذين رجعتُ إليهم قد
 ذكروا أن كلتا الصيغتين فصيحة دون أن يشيروا إلى وجود أى فرق
 بينهما . مفسر واحد منهم فقط ذكر أن وصف الجمع غير العاقل
 بصيغة المفرد المؤنث يدل على الكثرة ، بمكس صيغة جمع الألف
 والثاء ، فى مقابل مفسر آخر ذكر العكس .

والملاحظ أن دلالة الجمع على القلة أو الكثرة ليست من الأمور
 الحاسمة أو المطردة بل من المسائل التفصيلية . وبوجه عام فإن صيغة
 جمع التكسير باستثناء «أَفْعَلْ وَأَفْعَالٌ وَأَفْعَلَةٌ وَفِعْلَةٌ» تدل على الكثرة ،
 على العكس من هذه الصيغ الأربع وصيغة جمع المؤنث السالم ، وإن

(١) آل عمران / ٢٤ .

لم يمنع هذا أن يحدث العكس ، والأمثلة على هذا وذلك معروفة . أما كون أيام اليهود في النار «معدودة» أو «معدودات» فدلالة القلة فيها ناشئة من أن تلك الأيام يسهل عدّها لا من صيغة الأفراد أو الجمع . ولا معنى إذن لهذا الذي صدّع به الجهول أدمغتنا .

ومن الممكن جداً أن يكون القرآن الكريم قد أورد في الموضعين المشار إليهما كلام اليهود بنصه ، إذ لعلمهم كانوا نارة يستعملون صيغة المفرد المؤنث ، ونارة صيغة جمع المؤنث السالم ، فحكى القرآن أقوالهم في كل مرة كما هي . كذلك من الممكن أن تكون «أياماً معدودات» هنا معناها «أياماً معيّنات» كما في قوله عزّ شأنه عن الصيام إنه «كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَياماً معدودات» ، أي محددات هي أيام شهر رمضان ، وذلك واضح من ذكر شهر رمضان عقب ذلك . أياً ما يكن الأمر فإن المسمى «عبد الفاضل» يعرف بما لا يعرف ، ولقد ظلمه الذين لقنوه هذه التضاهات فتنطلق في غياء يسردها سرداً وعلى أية حال فهي هي ذى عبارة «أيام معدودات» يستعملها الكتاب المقدس عند هذا الفاضل وأمثاله في غير جمع القلة بالمعنى الذي يفهمه : «الحياة الصالحة أيام معدودات»^(١) . ذلك أن الحياة الصالحة ، مهما

(١) يشوع بن سراج / ٤٦ / ١٦ .

قصرت ، لا يمكن أن تكون أياماً قليلة إلى هذا الحد. أما في القول التالي المنسوب لأيوب فإنه يصف سنوات حياته بأنها «معدودة» ، وسنوات حياة الشخص أقل في العدد من أيامها بكل يقين ، وبخاصة أن أيوب قالها وهو مريض ، أى بعد أن قطع شوطاً طويلاً من عمره . قال : «فإن سنواتي المعدودة تنقضى فأركب طريقاً لا أعود منه»^(١) . فما رأى صوّحّبنا الأحق في هذين الاستعماليين اللذين يجرهان بعكس ما يدعى في صيغتي «معدودة» و «معدودات» ؟



١٢ - وهنا نصل إلى الاعتراض الثاني عشر الذى يقول فيه البيهق إن عبارة «أياماً معدودات» في قوله تعالى في الآيتين ١٨٣ - ١٨٤ من سورة البقرة : «يا أيها الذين آمنوا ، كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات ...» كان ينبغي أن تُقَرَّ إلى «أياماً معدودة» على أساس أن رمضان فلاكون يوماً ، والثلاثون ليست بالعدد القليل . وقد سبق في الرد السابق أن قلنا هذا السخف ونسناه نسفاً ، وقلنا إن «أياماً معدودات» هنا لا تعنى القلة أو الكثرة بل تعنى أنها أيام محدّدة هي

(١) أيوب / ٦ / ٢٢ .

أيام شهر رمضان من كل عام . وهو نفس المعنى في قوله تعالى :
 «وما نُوعِزُه إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعدودَةٍ»^(١) ، وقوله : «ولئن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ
 إِلَى أَتَمَّةٍ مُّعدودةٍ (أى إلى وقت مُّحدّد) لَيَقُولُنَّ : ما يَحْبِسُهُ ؟»^(٢) .
 و«الأجل» و«الأتمّة» معناها «الملاقات» ، والملاقات لا يُعَدُّ ، وإنما يَحُدُّ .



١٣ - يستعكر عبد الفاضل استخدام القرآن الكريم لصيغة
 «إلياسين» (بدل «إلياس») في قوله عز شأنه في الآية ١٣٠ من
 «الصافات» : «وإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... • سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ» ،
 وكذلك صيغة «سِينين» (بدل «سِيناء») في قوله سبحانه في الآية
 الثامنة من سورة «التين» : «وَطُورِ سِينِينَ» قالوا إن الصيغتين
 المذكورتين هما صيغتا الجمع من «إلياس» و«سِيناء» ، فمن الخطأ
 لغويا تغيير اسم الملمّ حيا في الجمع المتكلمة (ص ١٠٩) . والواقع
 أن الأمر أبسط من هذا كله ، إذ معروف أن الأعلام حين تتقل من
 لغة إلى لغة أخرى تمررها عادةً بحركات في حروفها وضبطها ونبرها
 كما في «بروحنا» مثلا ، الذى حوَّره اللسان العربى فصار «يحيى» .

(١) هود / ١٠٤ .

(٢) هود / ٨ .

وقد يقدو للعالم أكثر من نطق في اللغة التي انتقل إليها كما هو الحال عندنا بالنسبة لـ «أرسطو» و «أرسطوطاليس» و «أرسطاليس»، و «أهلوارد» و «ألوارد» و «ألقرت» (وهو اسم مستشرق ألماني معروف)، و «جبرائيل» و «جبرائيل» و «جبريل» و «جبرين» و «جبريال». ومعلوم أيضاً أن لاسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام في اللغة الإنجليزية مثلاً كذا صيغة مثل «Mahomets» و «Mahounds» و «Muhammed» و «Muhammad». وفي ضوء هذا فإن من السهل الإشارة إلى أن العرب ينطقون اسم شبه الجزيرة التي تقع في شمال شرق مصر بعدة صور: «سيناء» و «سيناء» و «سيناء» و «سينين» و «مينين»^(١). والشيء ذاته يقال في اسم النبي الكريم الذي نحن بصدده، إذ يقولون: «إلياس» و «إيليس» و «إيلسين». وقد اختار

(١) هذا الجاهل لا يعرف أن أي عربي، مهما كانت معرفته باللغة قاصرة، لا يمكن أن يجمع «سيناء» جمع مذكر سالماً لأنه اسم علم على مكان لا على شخص. وحتى إن غرضنا الطرف من علم جبريل جمعه جمع مذكر سالماً فإنه إن جمع هذا الجمع كان جمعه على «سينين» لا على «سينين». ومن الواضح أن الجاهل لا يفرق بين القرنين ومن فلك المستشرق الذي كان يقن أن «الزيتونة» هو جمع للذكر السلام من «زيت»، فكان يقول: «الزيتونة» (في حالة الجمع)، و «الزيتين» (في حالة المصنوع والغير).

القرآن الكريم في كل من الموضعين اللذين نحن بصددهما الصيغة التي تناسب السياق محافظةً منه على الإيقاع الموسيقي ، أما في غير ذلك فقد استخدم الصيغة الأشيع ، وهي «سِئَاء»^(١) و «إِيَّاس»^(٢) ، فليس في الأمر جمع ولا تكلف مجع ولا يحزبون .

ومثل «إلياس» في ذلك اسم حيي موسى ، الذي ورد في بعض الترجمات العربية للكتاب المقدس «يشرو» ، وفي بعضها الآخر «يشرون» ، فهل نقول مثلما قال هذا الأحقق إن «يشرون» هي جمع مذكر سالم لـ «يشرو» ؟ إننا أعقل من ذلك . لكن الأدهى أن يتكرر في الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ذكر الشخص الواحد بعدة أسماء مختلفة كتسمية حيي موسى هذا : «رهوئيل» مرة ، و«يشرون» مرة أخرى ، و«حوباب بن رهوئيل» مرة ثالثة^(٣) . وفي سفر «أنجبار الأهم الأول» أسماء أعلام تخالف لفظ الأسماء المذكورة في غيره من أسفار الكتاب المقدس . وقد حاول شراح ذلك الكتاب بطريقتهم البهلوانية تفسير هذه الظاهرة المضحكة بأن اللفظ قد تغير على مر

(١) في الآية ٢٠ من سورة المؤمنون.

(٢) في الآية ٨٥ من الأنعام ، والآية ١٢٢ من الصافات.

(3) نظر و خروج: ۱/۳، ۱۸/۴، ۱۸/۵، ۱۰/۶، ۹/۷، ۵/۸، ۲/۹

• 11 / 4 / 2009, 19 / 10 / 2009, 12

السنين ، لأنه كان للشخص الواحد عدة أسماء ، لو أن الأمر مجرد
 ألفاظ مترادفة^(١) . فهذه هي المصيبة حقاً ، أما الوقوف عند «إلياس» و
 «إلياسين» فهو تنطع فارغ . وفي نهاية المطاف ألفت نظره ، إن كان
 عنده نظر ، إلى التناقض الرهيب في اسم عيسى عليه السلام بين سفر
 «نبوة أشعيا» وبين إنجيلي متى ولوقا ، إذ جاء في «أشعيا» (١٤/٧) ،
 و(٦/٩ - ٧) أن الملراء ستلد لله ابناً وتسميه «عمّانوثيل» ، بينما في
 «متى» (٢١/١) أنها ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، وهو نفسه ما
 جاء على لسان جبريل عليه السلام حسب رواية «لوقا» (٣/١) ، وإن
 انعكس الكلام عنده عقيب ذلك إذ يعود فيقول : «هذا كله لكي يتم
 ما قبل من الرب بالنبي القائل : هو ذا الملراء تحمل وتلد ابناً ويدعون
 اسمه عمّانوثيل ، الذي تفسيره : الله معنا » . وطبيعة الحال لم يسم
 المسيح عليه السلام يوماً «عمّانوثيل» .



١٤ - كذلك يترض المتنتطح على استخدام الآية ١٧٧ من سورة
 «البقرة» لكلمة «الير» وصفاً له «من آمن بالله واليوم الآخر ...» على

(١) انظر مثلاً الحواشي الملحقة بآخر «العهد الجديد» في ترجمة الكتاب المقدس
 الكاثوليكية (دار المشرق / بيروت / ١٩٨٦ م / ص ١٢ / نهري / التعليل على
 الققرة الثالثة من الفصل الأول من «مفر أخبار الأيام الأولى» .

النحو التالي : «ليس اليَرُ أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ، ولكن اليَرُ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ...» ، مؤكداً أنه كان يجب أن يقال : « ولكن اليَرُ هو الإيمان بالله واليوم الآخر ... » لأن اليَرُ هو الإيمان لا المؤمن كما قال (ص ١٠٩) . وهذه لُفظة من الأمارات على جهله الشنيع بلغة الصاد ، فمن الواضح أنه لا يعرف شيئاً اسمه استخدام المصدر صفةً مثل : «رَجُلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ صِدْقَةٌ» بما يورث أنهما قد بلغا الغاية في العدل والصدق بعد أن أصبحا هما العدل والصدق ذاته . ومن شواهد هذا الاستعمال في الشعر العربي قول الشاعر القديم : «فإنما هي إقبال وإدبار» . ومثله في الكتاب للقدس عند المتطوع وأشباهه : « وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً »^(١) ، وكان ينبغي ، بناءً على فهم هذا المؤلفون ، أن يقال : « وكان سكان الأرض كلهم يستعملون لغة واحدة وكلاماً واحداً » . ومثله لهما : « كانتا (أى زوجتا عيسو بن إسحاق) مرارة نفس لإسحاق ورفقة »^(٢) . ومثله : « هو (أى الرب) فَخْرُكَ »^(٣) ، والمفروض ، حسب كلام الغني ، أن يقال : « هو مسبب

(١) تكوين / ١١ / ١ .

(٢) تكوين / ٢٦ / ٢٥ .

(٣) تثنى الاشتراح / ١٠ / ٢١ .

فخرك . ومثله قول يواب لأبشاي أخيه : «إِنْ قَرِىَ عَلَى الْأَرَامِيِّونَ
تَكُونُ أَنْتَ تَجِدُهُ»^(١) . ومثله : «صَنَاعُ التَّمَالِيلِ كُلِّهِمْ بَاطِلٌ»^(٢) ،
وكان يجب ، طبقا لتطوع صوّحبتنا ، أن يقال : «صَنَاعُ التَّمَالِيلِ
كُلِّهِمْ مَبْطُلُونَ» . ومثله : «وَتَخْلُقُونَ لَكُمْ لَعْنَةً لِمُخْتَارِي»^(٣) ، حيث
استُخْدِمَتِ «اللَعْنَةُ» وصفا رغم أنها مصدر مثل «البر» . ومثله :
«فَيَكُونُونَ سَبَّةً وَدُهَشَةً وَلَعْنَةً وَهَارَةً»^(٤) . ومثله : «سَبُّهُ (أَيْ سَبُّ اللَّهِ)
هَذَا»^(٥) . وبعد فأرجو أن يكون ذلك الأحق قد تعلم الدرس ، وإن
كنت أولاب في هذا .

ونحن الآن كثيرا ما نقول مثلا : «فلان هو الوفاء مجسما»
و«فلانة هي الفتنة نمتى على قديمين» أو «هى الظرف كله» ، وهو
قريب مما جاء فى الآية الكريمة . وهناك توجيهات أخرى للآية لا
داعى لسوقها ، ففيما قلناه ختمة . وقد تكرر هذا الاستعمال فى
السورة ذاتها بعد اثنتى عشرة آية ، وذلك فى قوله تعالى : «وليس البرُّ
بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البرُّ من نُقَى» . ومن غير المعقول

(١) أنهار الأيام الأول / ١٩ / ١٢ .

(٢) نبوة أنبيا / ٤٤ / ٦ .

(٣) نبوة أنبيا / ٦٥ / ١٥ .

(٤) نبوة أنبيا / ٤٢ / ١٨ .

(٥) نبوة دانيال / ٥ / ٣٤ .

أن يكون صاحب القرآن من الضعف في اللغة بحيث يتكرر منه هذا الخطأ في تلك للسافة القصيرة أو أن يكون العرب من كافرين ومسلمين من الجهل بحيث لا يتنبهون لذلك الخطأ أو يكون المشركون والمنافقون واليهود والنصارى من الجاهلة لحمد بحيث يصمتون أمام هذا الغلط ولا يخرجونه ويشتنون به في الآفاق .

ولزيادة الفائدة نضيف أن الصفة في هذه الحالة تلزم عادة صيغة الأفراد والتذكير فنقول ، «رجلٌ عدلٌ ، وامرأةٌ عدلٌ ، ورجلان عدلٌ ، وامرأتان عدلٌ ، ورجالٌ عدلٌ ، ونساءٌ عدلٌ» ، وإن سُمِعَ أحانا «رجالٌ عدولٌ» . وقس على ذلك «رجلٌ صدقٌ ، وامرأةٌ صدقٌ ، ورجلان صدقٌ ، وامرأتان صدقٌ ، ورجالٌ صدقٌ ، ونساءٌ صدقٌ ... وهلم جرا . وفي النهاية نسوق الشاهد التالي من الكتاب المقدس عند صومحننا الجاهل حيث يوصف المسيح عليه السلام بأنه «برٌّ» ، بالضبط كما في الآية الكريمة التي لا تعجب المتطعم : «المسيح يسوع ، الذي صار لنا من الله حكمة وبراً وقداً وفداء»^(١) ، وكذلك هذا الشاهد الذي يقول فيه بولس : «لكي نصير نحن برّاً الله فيه»^(٢) . وهذان الشاهدان هما الضربة القاضية لذلك للمتطعم ومن سألوه على

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثس / ١ / ٣٠ .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثس / ٥ / ٢١ .

هلاكم! وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فتحب أن تذكر هنا بأسماء
الأعلام التي هي في الأصل مصادر ، مثل : «وقاء» ، «نجاح» ، «رضا» ،
«إنعام» ، «إيمان» ، «جهاد» ، «سلامة» ، «عز» ، «إقبال» ، «بركة» ، «همس» ،
وهديل ... إلخ » .



١٥ - ونصل الآن إلى الاعتراض الخامس عشر فنجد أنفسنا لا نزال
مع الآية السابقة ، حيث يزعم صديقنا أنه كان يجب أن يقال :
«ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... وأتى المال على حبه ذوى
القربى ... وأقام الصلاة وأتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ،
والصابرون فى البأساء والضراء وحسن البأس» بدلا من «والصابرين» ،
لأن «الصابرين» عنده معطوفة على «الموفون بعهدهم» ، والمعطوف
على المرفوع لا بد أن يكون مرفوعا مثله «ص ١٠٩» . وقد تقدم فى
الرد على الشبهة التاسعة تفنيد مثل هذا السخف ، إذ قلنا إن النصب
فى مثل هذه الحالة يدل على مزهد من الاهتمام بصاحب الاسم
المصوب على سبيل المدح ، ولا داعى لإيراد التفاصيل التى أردناها
هناك .



١٦ - وفي قوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة «آل عمران» : «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ. خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ» ، يتعرض عبد القاضى مؤكداً أنه «كان يجب أن يُعتبر المقام الذى يقتضى صيغة الماضى لا المضارع فيقول : قال له : كُنْ ، فكان» (ص ١١٠) . ووضح أنه ، لجهله وحرمانه من المقدرة على تذوق الأساليب الأدبية الرائعة وما تتميز به من مفاجأة القارئ أو السامع فى كثير من الأحيان بما يهره ويوقظه ويخرجه من النعومة الآلية التى تستولى علينا من كثرة ما نرى الأمور تجري على وئجهها المعهودة ، يظن أنه لا يوجد إلا طريقة واحدة فى التعبير عن كل معنى . وهذه طفولية لفوية وأدبية ، وإلا فكيف فاته أن عبارة «كن ، فَيَكُونُ» ، وإن استعملت هنا فى الكلام عن خلق آدم فى الماضى ، فإنها تمثل مبدأ عاماً لا يتقيد بزمن ، فأبْقِيَتْ من ثَمَّ على حالها التى وردت بها فى المواضع الأخرى من القرآن الكريم ، وكلها تقرها بما لا يتقيد بزمن دون زمن^(١) . فهذه نكتة بلاغية رحيمة لا يقدر على التقاطها بلداء الذهن والذوق . ثم هناك نكتة بلاغية أخرى مثلها رهاقة بحيث لا يستطيع سبك العقل والوجدان أن يتبها إليها ، ألا وهى أن

(١) وهذه المواضع هى : البقرة / ١١٧ ، وآل عمران / ٤٧ ، والنحل / ٤٠ ، ومريم /

٣٨ ، يس / ٨٢ ، وغافر / ٦٨ .

الحديث في الآية ، وإن كان عن آدم أبي البشر ، فإنه يصدق كذلك على أبناء آدم في المستقبل ، فاستخدم القرآن لهذا السبب صيغة المضارعة التي تدل على الاستمرار والديمومة^(١) . ترى أفهم الجهول أم نعيد الكلام من جديد ؟ وهناك نصيحة تقول : لا تلقوا بالدرر أمام الخنازير ! وما إلى الخنازير قصّدتنا بكتابة ردنا هذا ، ولكننا وضعناه لطهي النية ممن توسوس الشكائب في آذانهم ، وذلك كي يأخذوا حذرهم فلا يتخذوها بملاسة الجلد عن نار الحقد المستعرة في قلوب هذه الشكائب الفتاكة . ومن أمثلة عطف المضارع على الماضي في الشعر الجاهلي قول تأبط شراً يصف عراكه مع الغول :

بأني قد لقيت الغول نحى ينهب كالصحيفة صحصحان
فأخذته فأخربها فغررت صرعا للبدن وللجيران

ثم نختم هذا الفرع بسوق هذين الشاهدين المشابهين من

(١) بعد كتابتي هذا الكلام بمدة كنت ألقب بالمصادفة في كتاب المستشرق الفرنسي بلاشير « Grammaire de l'Arabe Classique » فوجدته يقول في تفسير استعمال المضارع في هذه الآية ما ترجمته : « قال (لآدم) ، كن فيكون » ، أي تبدأ يكون في الحياة . ذلك أن استعمال الماضي هنا إنما يفترض واقعة حدث وانتهى الأمر دون أن تكون هناك فكرة الاستمرارية » (G. P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1952 , P. 254)

الكتاب المقدس عند الضالّ التّمسّيس : جاء في سفر « نبوءة أشعيا »
 (٦ / ٩ - ١٠) من رب العزة : « قال : انطلقْ وقل لهذا الشعب (أى
 بنى إسرائيل) : اسمعوا سماعا ولا تفهموا ، وانظروا نظراً ولا تعرفوا .
 غلظَ قلب هذا الشعب وغلّظَ أذنيه وأغمضَ عينيه لئلا يبصر بعينه
 ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ف يرجع فيشفي » . يرى شراح الكتاب
 المقدس أن فى الكلام هنا مجازاً حيث تكرر استعمال صيغة الأمر فى
 الكلام على حين أن المقصود هو المضارع الدال على المستقبل ،
 بمعنى أن بنى إسرائيل سوسمعون ولكن لن يفهموا ، وسينظرون
 ولكن لن يروا . وقد حوّل يوحنا فى إنجيله (٣٩ / ١٢ - ٤٠) الزمن
 فى هذه الأفعال إلى الماضى وجعل الفاعل هو الله تعالى : « لأن
 أشعيا قال أيضاً : أعمى (أى الله) عيونهم وقسّ قلوبهم لئلا يبصروا
 بعيونهم ولا يفهموا بقلوبهم » . ومثل ذلك ما جاء فى مفتتح الفصل
 الثانى عشر من سفر « الأحبار » : « أمة امرأة حبّلت فولدت ذكراً فلتنكح
 خمسة سبعة أيام ... فإن ولدت أنثى فلتنكح خمسة أسبوعين » ، حيث
 استُخدمت « لام الأمر » مع المضارع بدلا من استخدام المضارع المجرد
 من اللام رغم أن الكلام هنا خبر لا طلب .

١٧ - وفي قوله تعالى في الآية ١٥ من يوسف: عن إخوته عليه السلام وعزمهم على التخلص منه حتى يخلو لهم وجه أبيهم : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحيا إليه : لئن كنهم بأمرهم هنا وهم لا يسمعون » يؤكد الأخرق أن في الجملة خطأ لأنها تخلو من جواب «لولا» ، ولغة «لو حلفت الواو التي قبل «أوحينا» لاستقام للمعنى» (ص ١١٠). ولا بد من التنبيه أولا إلى أن القرآن يكثر فيه الحلف ، فهو سمة من سمات لغته أفاض فيها علماء القرآن والنحو والبلاغة ، وهذا الحلف موجود أيضا بكثرة في الشعر العربي القديم أيا كان العرب يستعملون لغتهم بتلقائية الواقع القابض على حياتها يصرفها حسبما تشاء مراعية للبلاغة . فهذه الآية إذن ليست بدعا في القرآن ، وهذا إن قلنا بالحلف ، وهو مجرد رأى من الآراء التي وجهت بها الآية . والحلف هنا ، عند من يقول به ، غرضه التشويق وإثارة تطلع القارئ للتفكير في المراد من الآية . وما زلنا حتى الآن نقول في أحاديثنا مثلا : « آه لَمَّا جاء أبوه ورأى ما صنع » ، فهل سمع أحلنا قط من يمترض على مثل هذا الأسلوب وتهمه بالنقص ؟ ومن شواهد هذا الاستعمال في الشعر العربي القديم قول امرئ القيس عن إحدى مغامراته العاطفية مع حبيبته :

فلما أجزنا ساحة الحى ونحسى بنا بطن عتّى ذى حَقْلٍ حَقْلٍ

حيث انتهت جملة «لَمَّا» مع نهاية البيت دون أن يظهر لها جواب.
وهذا الحذف يهدف إلى إثارة خيال السامع لينطلق فيتصور على
هواه كل ما يمكن أن يكون قد وقع بينه وبين حبيته .

وفي الكتاب المقدس عند العهد الفاضل نقرأ مثلاً : «وندم بنو
إسرائيل على بنيامين إخوانهم»^(١) ، و «بنيامين» (المبذل منه) فَرْد ،
والمبذل «إخوانهم» جَمْع ، فهل نملاً الدنيا صرنا بأن هذا خطأ كما
فعل جاهلنا ؟ إنا نقول إن ههنا حلفاً ، وتقدير الكلام : «وندم بنو
إسرائيل على بني بنيامين» . ومن الحلف أيضاً في ذلك الكتاب :
«إني مررت بحقل الكسلان وكرم الإنسان الفاقد القلب ، فإذا الشوك
قد علاه ، والمضاد غطى وجهه ، وجدار حجارته قد انهزم . فظفرت
فوصيت في قلبي ، ورأيت فاستغذت تأديها . قليل من الوسن . قليل
من الرقاد . على اليدين قليلاً للرقاد»^(٢) ، فهذه ثلاث جمل غير
كاملة . أفنقول إنها خطأ ؟ أبداً . وتقدير العبارة هو : «يكفى جدنا
قليل من الوسن» أو «قليل من الوسن كافٍ جدنا»... وهكذا . وفي
ذلك الكتاب أيضاً نقرأ العبارة التالية : «لَمْ يَلَمْ جَمِيعُ فَاعِلِي الْإِثْمِ

(١) حزقيال / ٢١ / ٦ .

(٢) لوقا / ٢٤ / ٣٠ - ٣٣ .

الذين يأكلون شعبي أَكَلَ الخبز ولم يَدْعُوا الرب ؟ هناك جزعوا جزعا حيث ليس جزع لأن الله في جيل الصديقين^(١). وعشنا نحاول أن نجد في النص مفعول دألم يعلم...؟. وقد تركه المتحدث عمدا ليثير خيال السامعين ويهول لهم ما يريد تخليدهم منه . والمراد مثلا : دألم يعلموا ما ينتظرهم من جزع ورعب وعقاب لا يرد؟.

على أن هناك من يقول إنه لا حلف في الآية القرآنية وإن جواب «لَمَّا» موجود في قوله سبحانه : «قالوا : يا أيها ...» بعدها بآيتين على النحو التالي : «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، وأوحينا إليه : لننبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون * وجاؤوا أباهم غشاة يكون * قالوا : يا أيها ، إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الثيب ...». ولم توجهيات أخرى ترجع إليها في كتب التفسير وإعراب القرآن وما إليها .



١٨ - ويمضي صوبنا الأحق في لجاجاته قائلا إن التركيب في الآية التاسعة من سورة «الفتح» يؤدي إلى اضطراب المعنى .

(١) زمزم / ١٣ / ٤ - ٥ .

وها نحن أولاء نورد أولاً الآية المذكورة والتي قبلها ليشاهدنا القارئ فيما
 نقول . قال تعالى : «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله
 ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً» . وشبهة الأحمق تقول
 إن هناك اضطراباً في المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى
 خطاب غيره ، ولأن الضمير في «تعزروه وتوقروه» عائد على الرسول
 المذكور آنفاً ، وفي قوله : «تسبحوه» عائد على اسم الجلالة المذكور
 أولاً . هذا ما يقتضيه المعنى ، وليس في اللفظ ما يعينه تعييناً يزيل
 اللبس . فإن كان القول : «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً»
 عائداً على الرسول يكون كفراً لأن التسبيح لله فقط ، وإن كان
 القول : «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً» عائداً على الله يكون
 كفراً لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزّه ويقوّه » (ص ١١٠) . وردنا على
 هذا السعف الذي لُقّن هذا البهقاء تلقيناً فادله كما قيل له دون أن
 يفقه منه شيئاً نقول : أما الالتفات من «كاف الخطاب» لـ «واو»
 مخاطبين فليست أدري ماذا فيه . إن رب العزة المتعال يخاطب رسوله
 قائلاً : «إنا أرسلناك (يا رسول الله) شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا (أنت
 وسائر العباد) بالله ورسوله ... إلخ» ، فمافان في هذا الكلام بما يصعب
 فهمه ؟ يؤسّر للمقول السّخّة والأفواه المستنّة !

وأما المشكلة التي يرد أن يخلقها خلقا في قوله عز من قائل :
«لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِرُوا بِحُكْمِهِ وَأَصْلِلَ» فلا
وجود لها إلا في ذهنه المخبول . بالله لم لا يكون التعزير والتوقيف
والتسييح جميعا لله عز وجل ؟ ما الذي في ذلك مما لا يناسب سبحانه
ويوقع القتال به في الكفر ؟ إن الله جلّت قدرته ليس في حاجة فعلا
إلى أية مساعدة أو عون من أحد ، بيد أن الكلام في الآية إنما هو
على الجواز مثل قوله في الآية السابعة من سورة «محمد» : «يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ تَقَرُّوْا اللَّهَ تَنْصِرُوْكُمْ وَتُثَبِّتُ أَفْعَادَكُمْ» وقوله في الآية
١٧ من «التغابن» : «إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ» وغير ذلك . ومغزى الجواز في الآية التي بين أيدينا هو زيادة
الحض على الاستمسك بحرية الإسلام ونصرة مبادئه والجهاد دفاعا
عنه والتضحية في سبيله بالنفس والنفيس ، وهو أسلوب من الكلام
يراد به استفزاز أقصى طاقات المخاطب واستنفار كل ما تجيش به نفسه
من عزم ، إذ متى ما قيل للمؤمن إنك ، بعملك كيت وكيت ، إنما
تنصر الله نفسه ، فإنه يهتف بجميع طاقته وعزمته لتحقيق ما تطلبه
منه . كذلك فهذا الأسلوب يثير المؤمن بأنه شديد القرب من ربه ،
ويجعل حبل المودة بينه وبين مولاه قويا متينا . ولقد أثمر هذا

الأسلوب ثمرته فرأينا المسلمين يسترخصون كل شيء في سبيل نصرة دينهم ورسوله ، بخلاف غيرهم ممن أسلموا نبيهم وفروا من حوله فأخذ يصرخ (كما جاء في كتبهم التي لا تصدقها) مستجدا بالسماء على غير جدوى ! وفي هذا بلاغ ، ولا داعي للإفاضة ! وأما بالنسبة للتوقيع فتشهد عليه بما جاء في الآية ١٣ من سورة «نوح» خطاباً من هذا النبي الكريم لمشركي قومه : « ما لكم لا ترجون لله وقاراً ؟ » . لا مشكلة إذن في الآية كما هو واضح ، بل المشكلة في اللحن المأفون !



١٩ - وبالمثل يخلق أحققنا برعونته مشكلة أخرى لا وجود لها إلا في عقله ، إذ يقول إن « سلاسل » و « قوارير » في الآيتين ٤ ، ١٥ من « الإنسان » : « إنا أعدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيراً » و « بطاف عليهم بأثنية من فضة » ، وأكواب كانت قواريراً قد نوتنا رغم أنهما ممنوحتان من الصرف أي أن في الآيتين خطأ نحويًا (ص ١١٠ - ١١١) . وصواب القول إن هاتين الكلمتين في المصحف الذي بين أيدينا غير منوتتين . كل ما في الأمر أنهما كتبتا بالألف ، ومعروف أن إملاء المصحف يختلف عن إملائنا الحالي بعض الاختلاف .

ولكن حتى لو تَوَقَّنا ، وهناك قراءة تتونهما فعلا ، فليس في توسيها
من بأس ، إذ من العرب قديما من كان يتَوَن الأسماء كلها ما عدا
«أفعل التفضيل» . صحيح أننا الآن لا نتَوَن أشياء كثيرة من بينها ما
كان من الجمع على وزن «مفاعل» و «مفاعيل» ، لكن هذا لا يمدد
أن يكون جانباً واحداً من المسألة ، أما الجانب الآخر فهو أن المنع من
الصرف لم يكن لغة كل العرب بل غالبتهم فقط . ونحن نميل
حالياً إلى التزام القواعد العامة وترك اللهجات القبلية التي لا تجرى مع
هذه القواعد . إلا أن هذا شيء ، والمسارة بجعل إلى تخطئة
أصحاب اللغة الأصلاء الذين منهم أخذنا قواعدنا ولهاهم نحاذى
فشيء آخر . فليكن الجهلاء على بينة من هذا حتى لا يَضِلُّوا
وَيُضِلُّوا ! والشواهد الشعرية على صَرَف ما تعودنا على منعه من
الصرف كثيرة في النصوص القديمة ، والأمر فيه ليس أمر ضرورة
شعرية فقط كما قد يظن ، بل هو لغة من لغات العرب كالمنع من
الصرف سواء بسواء .



٢٠ - هذا ، وقد سبق أن وضَّحنا ، في الرد على الشبهة الثالثة ،
السرَّ في تذكر كلمة «قريب» في قوله تعالى : «إن رحمة الله قريب

من المحسنين ، بما يفتينا عن إعادة القول هنا رفاً على الشبهة العشرية
التي نورد آية أخرى توجد فيها الظاهرة اللغوية نفسها هي الآية ١٧
من «الشورى» ، ونسها : «وما يدريك ؟ لعل الساعة قريب» .

٢١ - وبأخذ المتطع الفارغ العقل على قوله جلّ من قائل في
الآية ١٩٦ من سورة البقرة: «مَنْ تَمَتَّعَ بِالْعِمْرِ إِلَى الْحَجِّ وَلَمْ يَتَسَرَّ
لَهُ شِرَاءٌ هَدًى» فمَنْ لم يجد مصيماً ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا
رجعتم تلك عشرة كاملة» أن كلمة «كاملة» لا لزوم لها لأنها
توضح ما لا يحتاج إلى توضيح ، وإلا فمن ذا الذى يظن العشرة
تسعة ؟ (ص ١١١) . وهذا تطع بلغ الغاية فى السُّخف والتفاهة . إن
المتطع النافه لا يحبه العجب : فإذا رأى حدفاً قال : لماذا كان هناك
حلف ؟ وإذا رأى توكيداً قال : لا داعى له .. وهكذا . وأذكر أنى
كنت قبل نحو عشرين سنة أسمع أعنية حجة الصعيرة التى تسأل فيها
فتاة حبيبها عما جعله يتبه إلى حبها له : أهو قلبه أحسن بها محاربتها
حباً يحب ؟ أم كثرة الشوق الذى أطلّ من عينها ؟ أم ... ؟ أم . ؟
أم الحنان الذى كان فى «سلام يدها اليمين»^(١) ؟ فتساءلتُ

(١) أى فى مصاحبتها لده يدها اليمنى .

ضاحكا : وهل هناك «سلام» بغير اليد اليمنى حتى يحتاج الفتاة إلى تأكيد ذلك ؟ ثم عدتُ أنظر في العبارة من جديد فوجدتُ المحسن كله في هذا التحديد الذي قد يبدو للعجلين أنه زيادة لا ضرورة لها ، لأن هذه الكلمة قد حوِّلت « السلام » من معنى مجرد إلى واقعة حية يصورها الذهن ويرى فيها اليد مشتبكة باليد تصافحها وتبشها الحنان . وكذلك الحال هنا ، فقد تحولت العبارة بكلمة « كاملة » من مسألة حسابية مجردة إلى واقعة حية . ولا ننس أن العرب في الجاهلية لم يكونوا من علوم الحساب في شيء ، فكان لا بد من التأكيد ليعرفوا أن رقم العشرة هنا رقم كامل لا عدد تقريبي ، وهذا كقول النابغة الذبياني مثلا :

قالت : ألا لَيْتَمَا هذا الحمام لنا إلى حمامتنا لو نصفه ، فَقَدِ
فَحَسْبُهُ فَالْفَوْهَ كَمَا حَسَبْتُ لَمَّا وَتَسْمِنَ لَمْ تَنْقُصَ وَلَمْ تَزِدْ
وقوله أيضا :

أسأل عن مَعْدَى وقد مرَّ بحدنا على عرصات الدار سبع كوامل

وحسب في العصر العباسي نجد الجاحظ مثلا يقول إن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يقضون في تقيح قصيدتهم وصقلها «حولاً كريثاً» ، أي عاما كاملا لا ينقص يوما واحدا . وكذلك نحن الآن بعد كل هذا التقدم الهائل في الحساب والرياضيات لا يزال الواحد منا يقول

لديه مثلاً : « أريد منك ألف جنيه التي اقترضتها مني كاملة لا تنقص مليماً واحداً » أو « لا بد أن تدفع الخمسمائة جنيه والسبعة عشر قرشاً التي اشتريت بها بضاعة مني » ، والسبعة عشر قرشاً قبل الخمسمائة جنيه . وبالمثل نقول : « رأيت بعينى ، وسمعت بأذنى » رغم أن الرؤية لا تكون إلا بالعين ، ولا السَّمْعُ إلا بالأذن . وقد فات الجاهل الغدَمَ أن الكلام لا يمكن أن يجرى دائماً على نمطه الكمية واحدة في كل الأحوال والسيقات ، بل لا بد من تعديلات ومفاجآت تتعشع وتجملة جديداً أنضُر ، وإلا فيستطيع أى متنطع أن يحترض مثلاً على ما جاء فى الفقرة ٢٣ من الفصل التاسع والعشرين من سفر « الخروج » ، إذ يأمر الله هارون أن يأخذ إلى المذبح « رغيفاً واحداً من الخبز وجردقة واحدة من الخبز » ، ويتساءل : « ولم وصِّف كل من الرغيف والجردقة بأنه واحد ، والرغيف لا يكون إلا رغيفاً واحداً لا نصف رغيف ولا رغيفين ولا ثلاثة ، ومثله الجردقة ؟ أليس هذا زهداً فى الكلام لا جدوى منه ؟ » . هذا ما يقوله المتنطع الأملط العقل مثل « عبد الفاضى » ، أما العقلاء فإنهم يحترمون أنفسهم ولا يحترضون . ومثل ذلك ما جاء فى الفقرة الأخيرة من الفصل السادس عشر من سفر « الأحبار » من قول كاتب السفر : « مرة واحدة فى السنة » ، وكذلك قوله فى آخر الفصل العشرين عن العراف : « فليقتل

قتلا بالحجارة» ، الذى يمكن أن يتحلق فيه أى جهول فيقول : «وهل يمكن أن يقتل الإنسان أى شيء آخر غير القتل ؟ فلماذا قيل إذن : «فَلْيُقْتَلْ قَتْلًا» ولم يُقَلْ : «فَلْيُقْتَلْ» فقط ؟ وبالمثل يستطيع أى بليد جاهل أن يتساءل عن المرء فى جمع السبوت فى الأعوام السبعة فى آخر العبارة التالية بعد أن عُرِفَ أن المدة هى سبع سنين فى كل سنة منها سبعة سبوت : «واحسبْ لك سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام السبوت السبعة نسعا وأربعين سنة»^(١) قائلا : «وهل يكون حاصل ضرب ٧ فى ٧ إلا ٤٩» . ثم ما هذه المشكلة فى قوله : «سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مرات» التى توحى بأن مؤلف الكتاب كبه وهو سكران أو مرهق يرهق أن ينام ؟ ومثل ذلك أيضا ما جاء فى الآية ٢٤ من الفصل الثامن من سفر «يشوع» : «وسقطوا جميعهم بحد السيف من آخرهم» مع أنه كان يكفى ، بناء على رأى المتنطع الجهول ، أن يقال : «وسقطوا بحد السيف» . ومثله قول مؤلف «نبوة زكريا» على لسان الله سبحانه . «فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر الحادى عشر الذى هو شباط»^(٢) ، إذ يُقَدِّرُ أى تَزَيُّقٍ من طينة المدعو عبد الفاضى أن يقول

(١) أخبار / ٢٥ / ٨ .

(٢) نبوة زكريا / ١ / ٧ .

مستكراً : « وهل يمكن أن يكون الشهر الحادى عشر شيئاً آخر غير شباط ١٩ . ومثله أيضاً عبارة « مدة يوم كامل »^(١١) ، حيث وُصِفَ « اليوم » بأنه « كامل » ، ومعروف أن « اليوم » لا يمكن أن يكون إلا يوماً كاملاً لا ثلاثة أرباع يوم أو أربعة أخماسه أو خمسة أسداسه مثلاً ؟ ومثله عبارة : « ومن كلِّ حىٍّ من كلِّ ذى جسد اثنين من كلِّ » حيث كرر عبارة « من كلِّ » ثلاث مرات دون داع .



٢٢ - ومن « عشرة كاملة » إلى لغة « أكلونى البرافيت » كما يسمونها النحاة . ذلك أن الجاهل المتغشمر يظن بعقله الضيق أن هناك خلطة نحوية فى قوله تعالى فى الآية ٣ من « الأنبياء » : « وأسروا النجوى الذين ظلموا : هل هذا إلا بشرٌ مثلكم ١٩ » ، إذ يزعم أن الصواب يقتضى حذف « الواو » من « أسروا » فيكون الكلام : « وأسرو النجوى الذين ظلموا » (ص ١١١) . وهذا اعتراض يدل على تفاهة عقله ، ذلك أن الآية تملأ تماماً بما يمكن أن يؤخذ عليها ، فالتركيب تركيب عربى سليم مائة فى المائة ، ولو كان فيه أدنى شيء ما سكنت عليه العرب . أما إذا أردنا توجيهه فتحن بالخيار : فيما أن

يكون تقدير الكلام : «أسروا النجوى» ، (أعنى) الذين ظلموا : هل هذا إلا بشرٌ مثلكم ؟ ، وإما أن يبقى الكلام على حاله دون تقدير ، وتكون «ولو الجماعة» في «أسروا» حرفاً يدل على جمع الذكور (لا فاعلاً) كما يدل التاء في «أقبلتُ فاطمة» على المفردة المؤنثة ، أو تكون «وإو الجماعة» هي الفاعل ، و«الذين ظلموا» بدلاً منها .

وعلى أية حال فقد وردت شواهد على هذا التركيب في الشعر العربي القديم . يقول عروة بن الورد :

وأحقرهم وأهونهم عليه وإن كمالاً له نسبٌ وعِبرٌ
ويقول أحيحة بن الجلاح :

يلومونني في اشتراء النخب كل أهلي ، فكلهم يغفلُ
ويقول عمرو بن ملقط :

ألفيها حيناًك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية
ويقول محمد بن عبد الله المتبي :

ولئن الفولج الشيبُ لاح بمارضى فأقرصن عني بالمخلود النواصير
ومثله الشاهد التالي :

ألا يا أسلماً يا دمتي ثم مالكِ ولا يَلَمَّا بعتكما طللانِ

وكذلك هذا الشاهد :

لصرك لومي فاعتزرت بنصرهم ولو أنهم غفلوك كنت ذليلاً

ثم هذا الشاهد :

نبياً حاتم وأومئ لذنفا ضت عطائك يا لمن عهد العزير

ثم هذا الشاهد أيضاً :

فادركنه علالته فخلته ألا إن عرق السوء لا يذ مفرق

ثم هذا الشاهد لأبي فراس الحمداني :

نتج الريح محاسناً ألحقته غر المحاسن

ثم هذا الشاهد لأحد شعراء « البيت » :

إلى أن رمت النجم وهو مغرب والقبلان رلمات الصباح من



٢٣ - والأخير يعيب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله

تعالى في الآية ٢١ من « يونس » : « هو الذي يسيركم في البر والبحر ،

حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم

دعوا الله مخلصين له الدين : ... » ، قاتلاً إن الالتفات قد حدث قبل

تمام المعنى ، ، والأصح أن يستمر على خطاب المخاطب ،
 (ص ١١١) . وهذا يعنى أن ذلك الجاهل يقيم من نفسه معيارا للصحة
 اللغوية والذوق البلاغى الرهيف ، وهو الذى رأيناه يخطئ الأخطاء
 الفاحشة فى توليدات النحو . ليس ذلك من دواهي الزمن ؟ من أين
 لهذا الجاهل (الذى لو كان الأمر يبنى لعهدت به إلى مدرس
 خصوصى وأوصيته أن يقوم عوجه ولادته بالخيزانة) من أين له أن
 الالتفات لا ينبغى أن يستعمل إلا إذا انتهت الجملة وبدأت جملة
 أخرى ؟ لذلك لن أرد على هذا السخف وسأكتفى بإظهار المفزى
 البلاغى والنفسى لهذا الالتفات . والواقع أن فى هذا الأسلوب تعبرا
 عن الإعراض عن المخاطبين فى الآية وإظهارا للزبابة والإنكار عليهم ،
 فما أكثر ما يولى الواحد منا صفحة أو ظهرا لمن لا يريد أن يستمر فى
 الحديث معه احتقارا له أو سخطا عليه وما إلى ذلك ، فهذا من ذاك .

وهناك شواهد على ذلك الأسلوب من الكتاب المقدس هند
 صوبتنا ، مثل قول إخوة يوسف لفرعون : « جئنا لننزل بأرضك ، إذ
 ليس لدينا مرقى من اشتداد الجوع فى أرض كنعان ، فليقيم
 عندك بأرض جاسان »^(١) ، حيث تم الالتفات من جماعة المتكلمين

(١) تكوين ٤٧ / ٤ .

إلى جماعة الغاليليين قبل تمام المعنى . ومثله قول بنى إسرائيل
 فى ابتسحالهم لربهم : « قد خططنا إليك وتركنا إلهنا وعبدنا
 البعليم »^(١)، حيث تحول الكلام من مخاطب فى « إليك » إلى
 الغائب فى الاسم الظاهر « إلهنا » . ومثله قول يهوديت : « الرب
 يمحى الحروب ... جعل معسكره فى وسط شعبه لينقلنا من أيدي
 جميع أعدائنا »^(٢)، حيث انتقل الحديث من الغائب المفرد فى
 « شعبه » إلى جماعة للتكلمين عقب ذلك مباشرة فى « لنقلنا ...
 أعدائنا » ، وذلك قبل تمام الجملة . ومثله أيضاً هذا القول المنسوب
 للسيد المسيح عليه السلام يخاطب تلاميذه : « إنكم أنتم الذين
 تهتمونى فى جبل التجديد . متى جلس ابن البشر على كرسى مجده
 تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا وتدينون أسباط بنى إسرائيل
 الاثني عشر »^(٣)، حيث تغير الاتجاه من ضمير المتكلم فى « تهتمونى »
 إلى الغيبة فى قوله : « ابن البشر » . ومثله كذلك قول بولس إلى أهل
 أفسس : « حين كنا أمواتاً بالزلات أحياناً مع المسيح لأنكم بالنعمة
 مخلصون . وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السموات فى المسيح

(١) قضا / ١٠ / ١٠ .

(٢) يهوديت / ١٦ / ٣ - ٤ .

(٣) متى / ١٩ / ٢٨ .

يسوع^(١)، حيث تحوّل الصمير من جماعة المتكلمين في « كُنا » إلى جماعة المخاطبين في « إنكم » ثم عاد ثانية إلى جماعة المتكلمين، وذلك كله قبل أن يتم المعنى ، فماذا يقول العبد القاضى فى هذا ؟ وهناك أمثلة أخرى أكثر من الهم على القلب !



٢٤ - كذلك يستغرب جاهلنا أن القرآن لم يقل فى الآية ٦٢ من سورة « التوبة » : « واللهُ ورسولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَضَّوهُمَا » بدلا من « والله ورسوله أَحَقُّ أَنْ يُرَضَّوهُ » ، فبشئ الصمير العائد على اللتين : « الله ورسوله » بدلا من إفراده . وهو يعدّ ذلك خطأ (ص ١١١) .
والحق أن هذا أسلوب عربى صميم ليس فيه شيء إلا عند الأفهام الخربة والأذواق المعطنة ، وذلك كقول قيس بن الخطيم :

نحن بما هنلنا وأنت بما هنك واضر، والرأى مُبْتَلَفُ

وقول حسان :

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ سود ما لم يعاصى كان جتونا

وأضيفُ إلى ذلك أن هذا الأسلوب لم يقتصر وروده فى القرآن الكريم على هذه الآية وحدها بل يجدد القارئ أهنأ فى قوله تعالى مثلا فى

(١) رسالة القديس بطرس إلى أهل أنفس ١ / ٢٢ - ٦ .

الآية ٣٤ من «التوبة» عن الأحرار والرهبان : «الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشروهم بعذاب أليم» ، وقوله جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي الْآيَةِ ١١ مِنْ سُورَةِ «الجمعة» مخاطباً رسوله عليه السلام بشأن بعض المسلمين ممن تركوا خطبة الجمعة عند ورود قافلة التجارة التي كانوا ينتظرونها : « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا . وَمَنْزَى لِأَفْرَادِ الضَّمِيرِ فِي الْآيَةِ الَّتِي اعْتَرَضَ عَلَيْهَا الْجَاهِلُ هُوَ أَنَّ رِضَا الرَّسُولِ مُتَضَمِّنٌ فِي رِضَا اللَّهِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا يُنْطَلِقُ عَنْ وَحْيِ السَّمَاءِ . وَفِي هَذَا تَبَيَّنَ إِلَى أَنَّ رِضَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ ، فَكَأَنَّ الَّذِي يَحْصِيهِ وَيُنْضِيهِ قَدْ عَصَى اللَّهَ ذَاكَ وَأَغْضَبَهُ .



٢٥ - ونأني إلى آخر الشُّبَّهِ الموجودة في فصل الكتاب الخامس المسَّمَّى «أسئلة لغوية» ، وهي تتعلق بجمع كلمة «قلب» في قوله عزَّ شَأْنُهُ بِمُخَاطَبِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا حَيْثُمَا زَادَتْ غَيْرُهُمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي ضَاقَهُ : «إِنْ تَتَوَّأ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا» ، إِذْ يُسْأَلُ هَذَا الْعَبْقَرِيُّ : «لِمَاذَا لَمْ يَقُلْ : «صَفَا قُلُوبَاكُمَا» بَدَلِ «صَفَتْ قُلُوبُكُمَا» ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ لِلْأَتْنَتَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ قَلْبَيْنِ ؟ » (ص ١١٢) . مَا كُلُّ هَذِهِ الْعَبْقَرِيَّةِ ؟ لَقَدْ اكْتَشَفَ بَيَافَتُهُ مَا

لم يكتشفه أحد من الأولين والآخرين فعرف أن للإنسان قلباً واحداً لا
 قلبين أو أكثر . وأنا أحبّبه على هذا الاكتشاف وأبّيه من يقولون :
 « هذه الفتاة عيونها جميلة ، وخطوبها أسيلة ، وأثناؤها كالزّمان ،
 وأردانها كالكتبان ، وسبقاتها لا أدرى ماذا »^(١) إلى أن عليهم من الآن
 فصاعداً ألا يستخدموا صيغة الجمع هنا بل يستعملوا بدلاً منها صيغة
 المثني . غيبة الله على كل تافه جهول ا ترى ماذا نفعل مع الشعراء
 والأدباء ، وهم منذ خلقهم الله يميلون في كثير من الأحيان إلى
 التوسع في مثل هذه التعبيرات ؟ يقول الأحنى مثلاً :

إِذَا قُومَ يَضْرُوعُ الْمِسْكُ أَمْوِرُهُ وَالزَّبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أُرْدَانِهَا شَمْلُ
 فجمع « الأردان » مع أن لها رُفْدَيْنِ (أى كُتْمَيْنِ) اثنين فقط . ويقول
 قيس بن الخطيم :

كَأَنَّ لِبَاهَا تَضَمَّنَهَا هَزَلَى جَسْرَادِ اجْوَارِهِ جُلْفُ
 والقبّة : لوسط الصدر والمجر ، والمرأة لبة واحدة لا لبّات . ويقول
 السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ :

كَأَنَّ مَجَامِعَ الْأُرْدَانِ مِنْهَا نَقَى دَرَجَتُ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا

(١) وأحياناً ما يحدث العكس وتستخدم صيغة المفرد فتقول : « خذها أسيل ، وطرّها
 كحول ، وردنها قليل ».

وللمرأة ردفان الثان ، لكن الشاعر استخدم صيغة الجمع . ويقول
بشامة بن الغنير في ناقتة :

كَأَن يَدِيهَا إِنَّا لَرَقَلْتُ وَقَدْ جُؤْنَ لِمَ لَهْتَيْنِ السَّيْلَا

هذا غلام غمر في غميرة قد أدركه الموت إلا قليلا

حيث جعل الضمير العائد على « اليدين » ضمير جمع ، وهو نون
النسوة . وعلى العكس من ذلك يقول امرؤ القيس : « ففاضت دموع
العين من صبابة » رغم أنه بكى بعينه الاثنتين لا بعين واحدة .
ويقول بشر بن أبي خازم في حبيبته إنها « ربا المصم » مع أن لها
معصمين اثنين لا معصما واحدا . وبالمثل يصف عمرو بن كلثوم
لمرأة فيقول إنها « ثرك ... قلنا مثل حق العاج » بدلا من « ثنين » .
كما يقول بشامة إن من ينظر إلى ناقتة يرى لها « هذا سرحا » بصيغة
المفرد ... إلخ ، وهو كثير . ثم ماذا نقول لتوفيق الحكيم ، وقد ألف
مسرحة عنوانها « الأبدى الناعمة » تحدث عن رجل أروستقراطي لا
يحب أن يشتغل بيده كبقية خلق الله ، لكن الحكيم جعل له
« ألدنيا » لا « يدنين » ؟ وماذا نقول أيضا لعمود يمينور ، الذي سمي
قصة من قصصه : « شفاه غارطة » رغم أنه إنما يقصد شفتي فتاة
واحدة ليس إلا ؟ أنقول لهما : أخطأت يا توفيق الحكيم أنت

ومحمود تيمور ، فادعها وتوبا على يد الجاهل المتطعم حتى يكتب
لكما صكتَ غفران تضمنان به دخول الجنة^(١) ؟

إن اللغة يا عبد الفاضل بخرها طام ، والميال من أمثالك عليهم
أن يقفوا على الشاطئ بعيدا عن أمواجه حتى لا يجرهم التيار . ألم
نسمع مثلاً من يقول إن « الخطيب العلاني ألقى كلمة مؤثرة أمس »
مع أنه قد تلفظ في خطبته بالآلاف الكلمات ؟ ألم يأتك أحد أقرائك
أو أصدقائك ليقترض منك « قرشين » ، وهو في الواقع يريد ألف جنيه
مثلاً ، وربما آلافاً ؟ وفي الإنجليزية كثيراً ما نسمع الصديق يقول
لصديقه ، بعد غيابه عنه شهراً مثلاً ، إنه لم يره « منذ دهور : for
ages » . وهنا كله من باب التوسع المفرد ، وفيه من البلاغة ما
يهر الألباب . ووجه استعمال « القلوب » في الآية الكريمة ، حسبما
أنصوب ، هو أن القرآن المجيد يريد لأُمِّي المؤمنين ، رضى الله عنهما ،
أن تصفوا بكل خلجات قلوبهما إلى الحق ، فكان الآية قد استعملت
« القلوب » بمعنى المشاعر والخواطر .

والآن إلى شواهد من الكتاب المقدس عند العبد الفاضل على هذا

(١) ألم نرنا ينبغي أن نقول : « وتوبا على يديه حتى يكتب لكما صكتَ غفران
تضمنان بهما دخول الجنة » لوضاء للذهن الفنى ؟

الاستعمال . نجد مثلا : « إن صراخ ملوم وعمورة قد كثر ،
 وخطيئتهم قد عظمتُ جدا » ، حيث أضيفت كلمة « خطيئة » إلى
 ضمير جمع الذكور ، وكان ينبغي ، بناءً على مزاعم العبد الفاضل ،
 أن يقال : « وخطاياهما » . ونجد ثانيا : « وهكذا كانوا يجلبون على
 يدهم لجميع ملوك الحثيين وملوك آرام »^(١) ، وكان يجب ، طبقا
 لفنوى الأعرق ، أن يقال : « على أيديهم » ، إذ إنهم جماعة لا فرد ،
 فلهم أيدي متعددة لا يد واحدة . ونجد أيضا : « خذك كفلة رمانة »^(٢) ،
 والمفروض ، حسبما يقول المتنطع ، أن يقال : « خذك كفلة رمانة »^(٣) ،
 ونجد رابعا : « ثيابك مثل الحثية » ، وكان ينبغي ، بناءً على
 فهمه الكلبي ، أن يقال : « ثيابك مثل حثيين »^(٤) . ثم نجد خامسا
 هذا الشاهد الذي يشبه بالضبط ما عابه ذلك القليل : « وجعلوا لسيرة
 في أيديهما وتاج فخر على رؤوسهم »^(٥) ، إذ قيل : « رؤوسهما » بدل
 « رأسيهما » . ومثل الشاهد التالي : « إن شاء أحد أن يضربهما فخرج

(١) تكوين / ١٨ / ٢٠ .

(٢) نبيد الألبانيد / ٤ / ٣ ، و ٦ / ٦ .

(٣) نبيد الألبانيد / ٧ / ٨ (مترين) .

(٤) تروط حزقيال / ٢٣ / ٤٢ .

النار من أنفواهما»^(١). ليس ينبغي بعد هذا أن يخرس كل سمع
وذيل ؟



وهناك شبهات لغوية أخرى أوردتها هذا الشقي في مواضع أخرى
من كتابه منها قوله : « جاء في فوائح ٢٩ سورة القرآن حروف
عاطلة لا يفهم معناها » (يقصد الحروف المقطعة التي في أوائل بعض
السور كالبقرة والحجر والشورى) ، ثم يختم كلامه متسائلا : « إن
كانت هذه الحروف لا يعلمها إلا الله كما يقولون ، فما فائدتها لنا ؟
إن الله لا يوحى إلا بما يفيد ، فكلام الله بلاغ وبيان وهدى للناس »
(ص ١٧٥) .

ويادى ذى بدء أسارع فأقول : أوليس هذا الكون الهائل من
صنع الله أمضا ؟ فهل كل شيء فيه مفهوم وواضح للبشر ؟ بل هل
كل شيء على الأرض وحدها مفهوم لنا وواضح ؟ بل هل كل شيء
في جسم الإنسان فقط مفهوم وواضح له ؟ أما ما يفهم من قوله إن
المسلمين يرون ألا سبيل إلى معرفة معنى هذه الحروف فهذا كلام
بعض العلماء فقط ، لكن هناك فرقا آخر يرى أن المقصود بها تنبيه

(١) راجع القلمس روحا / ١١ / ٥ .

المعاند إلى أن القرآن مؤلف من هـ ، الحروف وأمثالها ، ومع ذلك لا يستطيع أى بشر أن يأتى بمثله ولا بسورة منه . ونحن إذا ما قرأنا الآية التى تلى هذه الحروف فى كل سورة تقرها وجدنا أن هذا تفسير جَدَّ وجيه ، كقوله تعالى مثلاً : هـ أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، (البقرة) ، هـ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ * (الحجر) ، هـ حَم * نَزَّلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (فُصِّلَتْ) ، هـ حَم * عَمَّ * كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (الشورى) ، إذ المعنى فى الشاهد الأخير على سبيل المثال أنه من هذه الحروف وأشباهها (وهذا معنى قوله سبحانه : هـ كَذَلِكَ) «يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» . وقس على ذلك السور الباقية ، وإن لم يأت التعبير فيها جميعاً على هذا النحو المباشر بل يتنوع من سورة إلى أخرى . أما السورتان أو الثلاث التى لا يوجد فى أولها مثل هذه الإشارة ، ففى الكلام فيها حلف كالحلف الذى يقابلها فى كثير من آيات القرآن الكريم جرها على سنة العرب وغير العرب فى لغاتهم .

وللمفسرين آراء أخرى فى تفسير هذه الحروف : منها مثلاً أنها أسماء للسور التى تبتدئ بها . ومن هذا أننا ، عندما كنا صغاراً نحفظ القرآن فى الكتاب ، كنا نقول مثلاً : لقد وصل فلان فى

حفظه للقرآن إلى « الحواميم » ، وبعض العلماء يقولون إنها اختصار
لأسماء الله ، وبعضهم يقول : بل هي اختصار لصفاته تعالى ، فإذا
أحطنا « ألم » مثلاً فإن « الألف » تشير إلى « آلاء الله » ، و « اللام »
إلى « لطفه » و « الميم » إلى « مجده وملكه » ... وهكذا . ومع أن
الاجتهاد الحديث في التفسير بوجه عام لا يأخذ بهذا الرأي فإنه ، رغم
كل شيء ، أوجه من ذلك التفسير البهلواني الذي يدعى كاتب سفر
« نبوة دانيال » في العهد القديم أن دانيال قد فسر به حلم الملك
البابلي حين رأى في منامه كتابة مرسومة ليس لها معنى هذا نصها :
« مَنَا مَنَا تَقِلْ وَفَرَسِينَ » ، إذ قال له : « مَنَا أَيْ أَحصى الله ملكك
وأنهائه . تَقِلْ ، أَيْ وُزِنَتْ فِي الْمِيزَانِ فَوُجِدَتْ نَاقِصَا . فَرَسٌ ، أَيْ
قُسِمَتْ مَمْلَكَتُكَ وَدِفِعَتْ إِلَى مَادَايَ وَفَارَسَ » . ترى أيمكن أن يدخل
في روح أحد أن يهودياً متفياً في مملكة ذلك العاهل يمكن أن يجبهه
بهذا الكلام الفظيع ؟ وأدهى من ذلك وأطم أن يدعى كاتب السفر
أن الملك ، من إعجابه بهذا التفسير ، قد ألبسه الأرجوان وطوق عقه
بالذهب ! إن هذا لهو المستحيل بعينه ، إذ لو صححت الرواية لما كان
رد فعل الملك شيئاً آخر غير تطهير ربة ذلك اليهودي بالسيف في التو
واللحظة ! على أن للسرحية لماً تكتمل فصولاً ، إذ تمضي فنقول
إن الملك البابلي قد قُتل في الليلة نفسها وانتقل ملكه فملاً إلى الملك

داريوس المادى^(١).

يبدو أن الباحثين في المقود الأخيرة قد توصلوا ، عن طريق استخدام الحاسوب ، إلى مفزى إضافى لورود هذه الحروف فى أوائل السور ، إذ وجدوا أن كل حرف منها هو أكثر الحروف دورانا فى سورته ، أما إذا كان هناك حرفان أو أكثر فإن تردد أولها يكون أكبر عددا من تردد الثانى ، وهذا أكبر عددا من تردد الثالث ... وهكذا . ولا تزال الأمام المقبلة حُبلى بالكثير من هذه الاكتشافات الخاصة بالحروف والأرقام . ومن العلماء من وجد تناغما ملحاً بين أعداد المرات التى تتكرر فيها الألفاظ المتقابلة كالجنة والنار ، والإنس والجن ، وما إلى ذلك مما يجد القارئ شيئا منه فى بحوث المرحوم عبد الرازق نوفل عن الإحجاز الممدى فى القرآن الكريم .

ثم إن الذى يقرأ كلام ذلك الأحمق يظن أن كتابهم المقدس قد خلا من الألفاظ التى حُوت مفسرهم رغم أن أسلوبهم فى تفسير كتبهم يقتصر إلى الانضباط والمنهجية وتوسع لكل شئ ولأى شئ . ولن أذكر للبهلاء إلا مثالا واحدا هو كلمة «مِلَاه» التى وردت فى «مزالمير داود» ٦٣ مرة ، وثلاثا فى «نبوءة حَبَقُوق» ، والتى اختلف

(١) نبوءة حزقيال ١٠ من أوله إلى آخره ، وخاتمة لفقرة ٣٥ وما يليها .

مفسروهم في شرحها اختلافا شديدا وما زالوا رغم أنهم ، كما قلت ،
لا يتقيدون بمنهج في تفسيرهم .

وأخيرا قد يكون من المفيد أن نشير إلى الطريقة التي شكّل بها
هذا اللغز الحروف المقطعة في أوائل السور ، فقد ضبط كل حرف
فيها بالفتحة (هكذا : آلم ، طس ، حم • عسق ... إلخ) مع أن
الصواب هو نطق كل منها كما ينطق في الأبجدية منفردا . فانظر أيها
القارئ إلى مدى جهل هذا الأحق الذي يتصدى لنور الله بتفخه
من فمه المتن يظن أنه يقدر أن يطفئه بها !



ومن اعتراضاته الحمقاء قوله : « كيف يكون القرآن عربيا مبينا
وه كلمات أعجمية كثيرة من فارسية وأشورية وسريانية وعبرية ويونانية
ومصرية وحشية وغيرها » ١٩ . وقد أتبع هذا السؤال الصبياني بقائمة
من الألفاظ التي يقال إنها أعجمية (ص ١٧٥ - ١٧٧) .

وقبل أن أبين ما في كلام هذا الأحق من سخف جاهل أشير
إلى وجهات نظر علمائنا القدامى في هذه المسألة : فبعضهم يقول إن
هذه الألفاظ المنسوبة إلى اللغات الأعجمية هي أيضا ألفاظ عربية ،
وقد وردت هنا وهناك من باب الانفعال وتوارد الخواطر . وهذا الرأي

يقول به الطبري والرازي وكثير من العلماء . وقد كنت أشترب في البداية هذا الكلام ، إلى أن تبهرت إلى أن كثيرا من هذه الألفاظ منسوب لهذه اللغة السامية أو تلك إلى جانب العربية ، فمن الطبيعي إذن أن تكون موجودة في لغتنا وفي تلك اللغات في ذات الوقت لأنها كلها منحدرة من أم واحدة هي اللغة السامية ، مثلما توجد ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغات المتفرعة من اللاتينية . وهناك رأي آخر مفاده أن هذه الألفاظ الأعجمية قليلة لا يعتد بها ولا تُخرج القرآن من ثم من عربيته . وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وعكرمة وغيرهما . أما الرأي الثالث فيتلخص في أن العرب قد خلقت هذه الألفاظ في أثناء سفرها إلى البلاد المجاورة ، لكنهم عربوها ، أي أعطوها شكلا عربيا حتى جرت مجرى المعرب الصريح . ومن أصحاب هذا الرأي أبو القاسم عبيد بن سلام^(١) .

وكعادتي في التسليم بما يقول صوبحنا سوف أفترض أن كل هذه الألفاظ هي فعلا ألفاظ أعجمية ، فهل هذا يُخرج القرآن عن

(١) ينظر في ذلك السبوطي / الزهر في علوم اللغة وألوانها / تحقيق جاد المولى والجلوي وأبو الفضل إبراهيم / مكتبة عيسى البابي الحلبي / ١٩٥٨م / ٢٦٧ - ٢٦٩ ، ود. عبد القاصر حسن / من علوم القرآن وتحليل نصوصه / دار نظري بن الفجاعة / الدوحة / ١٩٨٧م / ٤٢ - ٤٣ .

عروته ؟ أبداً لأنه ما من لغة من اللغات إلا وفيها ألفاظ كثيرة جداً من اللغات الأخرى . بل إن اللغة العالمية الأولى في عصرنا الحالي ، وهي الإنجليزية ، مفعمة بألف الألفاظ والعبارات المأخوذة بنصبها من اللاتينية والفرنسية والعربية والألمانية والفرنسية واليونانية . وفي الإسبانية ، وهي أيضاً إحدى اللغات العالمية ، عدد هائل جداً من الكلمات العربية ، ولا يقدح ذلك في إسبانيته . وقل مثل ذلك في الفارسية والتركية والسواحلية والأوردية ، ولم يدع أحد أن هذه اللغات قد فقدت هويتها بسبب ما غزلاها من جيوش الألفاظ والعبارات العربية . إن الظن بأن هناك لغة نقية من الألفاظ الأجنبية هو كالظن بأن هناك جنساً من الأجناس البشرية لم تخالط دماء أية دماء أجنبية قط ، وهو ظنٌ طفوليٌّ لا يقول به إلا أحمق متطعم كصاحبنا^(١) . والمبرة على كل حال بقواعد اللغة وتركيبها وطرائقها الخاصة بها في التعبير والتصوير وما إلى ذلك^(٢) . ولنفترض أن هذه الألفاظ بما

(١) انظر ، في تبادل المفردات بين اللغات ، على سبيل المثال د . على عبد الواحد وافي / علم اللغة / ٩٤ / دار النهضة مصر / ٢٥٢ - ٢٥٦ .

(٢) وانظر رأي يعقوب صروف (التصونيفي) في هذه المسألة في رسالته التي بعث بها إلى المحجج العلمي العربي بالمشق بالفتح عن غطته في تعريب الألفاظ الأجنبية وعدم اللجوء إلى ترجمتها في بعض الأحيان (الجلد ٧٤ من «المقتطف» / ص ٨٨) .

يُخْرِجُ الْقُرْآنَ عَنْ عَرَبِيَّتِهِ ، فَيَأْتِي لُغَةً جَنْسِيَّةً يَأْتَرَى نَسْبَهُ ؟ ثُمَّ إِنَّ
الْكِتَابَ الْمَقْدَسَ عِنْدَ هَذَا الْأَحْيَاقِ وَأَشْبَاهِهِ تَتَدَخَّلُ فِيهِ لُغَاتٌ شَتَّى
كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، فَلَمَّا قَامَ يَشِيرُ هَذِهِ الشَّبْهَةُ إِذَنْ ؟ بَلِ الْمُنَافَا لَا يَشِيرُهَا إِلَّا
بِالنَّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ وَلَمْ يَشِيرُهَا بِالنَّسْبَةِ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا ؟ أَمْ إِنْ أَفْهَمَ
حَقَّقَهُ هُوَ وَمَنْ رَوَاهُ لَا تَهْجِجُ إِلَّا عَلَى الْقُرْآنِ قَطْعٌ ؟

وهذا كله على افتراض أن هذه الألفاظ كلها فعلا ألفاظ
أصغمية. ولقد أثبت في كتابي «دائرة المعارف الإسلامية الاشتقاقية» -
أضالول وأباطيل» أن معظم ما يقول المستشرقون والمبشرون إن العربية
قد استعارته من اللغات السامية الأخرى هو زعم باطل^(١). كما أن
أحد تلامذتي الذين درسوا معي للحصول على درجة الدكتوراه قد
انتهى في بحثه إلى أن الأغلبية الساحقة من الألفاظ القرآنية المقول
بأصغميته هي ألفاظ عربية أصيلة^(٢). وقد ارتكن في دراسته هذه
على معرفته ببعض اللغات السامية ورجع إلى كل ما استطاع أن يضع
يده عليه من مؤلفات من كتبوا في هذه القضية من عرب
ومستشرقين .

(١) انظر الفصل الثاني «اللسان اللغوي» من الكتاب المذكور / مكتبة البلد الأمي /

القاهرة / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / ١٨٧ - ٧١١ .

(٢) وهو د. محمد صليحة الفرس بجامعة تشينغ باللاتية .

وعلى كل حال ففي الكتاب المقدس عند المتتبع الجاهل ألفاظ
من لغات شتى ، إلا أنه لما تمت ترجمته إلى لغة الضاد أصبحت هذه
الألفاظ عربية . ومع هذا ففي الترجمة نفسها ألفاظ كثيرة أبقاها
الترجمون كما هي ولم يترجموها إلى العربية ، مثل : الكرويون ،
والأفود ، والإيفة ، والمعلم ، والترافيم ، والفور ، والفوريم ،
والسروفون ، والبهموت ، وماران أنا ، وسلا ، والكثارة ، والمهندس ،
واللواياتان ، ومنا منا لقل وقرسين ، والثورة ، والإجميل ، والآب ،
وهلليا ، وهوشنا ، وللي ليلي لسا شبقني ، والكراسة ، وراي ،
وراوني ، ووصنا ، وأتالما ... إلخ .



وتحت عنوان « الكلام المتكرر » ، وهو أحد عناوين الفصل التاسع
المسمى « أسئلة فنية » ، يقول صوبحنا إن « بالقرآن الكثير من
التكرار اللفظي كما في سورة « الرحمن » (يقصد تكرار قوله تعالى
مخاطبا الإنس والجن : « فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ » بعد كل آية أو
آيتين بدءا من الآية ١٢) ، أو التكرار المعنوي كما في قصص الأنبياء ،
ثم يختم كلامه بالسؤال التالي : « أليس في هذا التكرار حيب الخل
والملل والبعد عن ضرور البلاغة ؟ » (ص ١٨٤ - ١٨٥) .

ولن أحاج هذا الأعمى البصر والبصيرة إلا بأن هذا الذي

يستهلكت في القرآن موجود على نطاق أوسع وأشدّ بما لا يقاس في كتابهم المقدس ، فالملل الذي يصيب قارئ الجزء الأخير من سفر « الخروج » وكل أسفار « الأخبار » و « العدد » و « الاشتراع » وأوائل « أخبار الأيام الأول » أمر لا يطلق . إنه يصل إلى حد الفئان والدوار وزغلة العين : فمن سلاسل أنساب وأسماء أشخاص ومواقع تتابع وتتداخل وتأخذ بعضها برقاب بعض ، إلى تفصيلات تفصيلات التفصيلات ، إلى حوادث يتكرر ذكرها ، وعهود يعاد صوغها ... إلخ حتى تتركك القراءة جثة هامدة . وفي « الملزم » و « الأمثال » يظل الإنسان يطالع نفس الأفكار والمشاعر مصوغة بنفس العبارات أو بعبارات متقاربة على مدى مائة وستين صفحة من الصفحات المزدحمة حتى ليشتق اعتقاداً . ثم هناك أسفار النبوءات الخاصة بأنبياء بني إسرائيل التي تكتظ بتقريع هؤلاء الأنبياء لأقوامهم الصلاب الرقبة وشتمهم لهم ولعنهم إياهم وشماتتهم بهم وتنبؤهم بما ينتظرهم من مستقبل أسود مما يستغرق مئات الصفحات . وهذا في المهد العتيق ، أما في المهد الجديد فنحننا أربعة أناجيل كل منها يحكي سيرة المسيح عليه السلام من البدء إلى النهاية : نفس الحوادث ، نفس الأشخاص ، نفس الحوارات . وقد كانت سيرة واحدة فقط منها تكفى .

تمام المعنى ، ، والأصح أن يستمر على خطاب المضاطب ،
(ص ١١١) . وهنا يعنى أن ذلك الجاهل يقيم من نفسه معيارا للصحة
الفلسفية واللوق البلاغى الرهيف ، وهو الذى رأيناه يخطئ الأخطاء
الفاحشة فى أوليات النحو . أليس ذلك من دواهي الزمن ؟ من أين
لهذا الجاهل (الذى لو كان الأمر بيدى لمهدت به إلى سدوس
خصوصى وأوصيته أن يقوم حوجه ويلادته بالخيزرانة) من أين له أن
الالتفات لا ينبغى أن يستعمل إلا إذا انتهت الجملة وبدأت جملة
أخرى ؟ لذلك لم أرد على هذا السخف وسأكتفى بإظهار المغزى
البلاغى والنفسى لهذا الالتفات . والواقع أن فى هذا الأسلوب تعبيرا
عن الإعراض عن المخاطبين فى الآية وإظهارا للزبالة والإنكار عليهم ،
فما أكثر ما يولى الواحد منا صفحة أو ظهرة لمن لا يريد أن يستمر فى
الحديث معه احتقارا له أو سطحا عليه وما إلى ذلك ، فهذا من ذاك .

وهناك شواهد على ذلك الأسلوب من الكتاب المقدس عند
صالحينا ، مثل قول إخوة يوسف لفرعون : « جئنا لتزول بأرضك ، إذ
ليس لعبيدك مرعى من اشتداد الجوع فى أرض كنعان ، فليقيم
عبيدك بأرض جيلان »^(١) ، حيث تم الالتفات من جماعة المتكلمين

(١) تكوين ٤٧ / ٤ .

«الأمر الفلاني والأمر الفلاني شأنهما كذا وكذا ، ولكن الأمر
 الملاني فوق كليهما». وفي الفصل الثالث والعشرين من إنجيل متى
 تقابلنا العبارة التالية سبع مرات منسوبة للسيد المسيح في صفحة واحدة
 ليس غير : «الهل لكم أيها الكتبة والفرسيّون المرازون»، ومثلها في
 نفس الفصل عبارة «أيها العميان» أو «أيها الجهال والعميان» موجهة
 أيضاً إلى طائفة الفرسيّين . وعلى مدى الفصلين الثاني والثالث
 جميعاً من «رؤيا القديس يوحنا» تقابلنا بعد كل عدة آيات قوله :
 «من له أدن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس»... وهذه بعد مجرد
 أمثلة قليلة .

ودعنا الآن عما يكتظ به الكتاب المقدس من تناقضات وأخطاء
 أصبحت راحتها تزكم الأنوف ، ولم يعد القوم يقدرّون على إخفائها
 والتعمية عليها كما كانوا يصنعون في عصور الظلمات والجهل ، بل
 قصّارهم الآن تسوئها بنظرة مضحكة تقول إن المضمون العقيدى
 والأخلاقي لهذه الكتابات هو من عند الله ، ومن ثم فلا خطأ فيه ،
 بخلاف الأسلوب اللغوي والمعلومات التاريخية والحسابية والعلمية ،
 فهذا من عند المؤلفين الذين وضعوا هذه الكتب ، وهو أمر طبيعي
 لأنهم بشر . وهى نظرية مضحكة كما قلت ، نضلا عما فيها من
 كذب لأن المضمون العقيدى والأخلاقي في هذه الكتب يمجّ هو

أيضاً بالأخطاء والتناقضات وبشوء مفاهيم الألوهية والنبوة والأخلاق
تشويهاً فظيماً .

لهذا ولذلك فإننى لا أستطيع أن أفهم كيف جرؤ هذا الأبله على
مهاجمة القرآن بأن فيه تكراراً ! إن ذلك التعميس لينطبق عليه القول
المنسوب عندهم إلى السيد المسيح عليه السلام : « ما بالك تنظر
القذى الذى فى عين أخيك ولا تفتن للغشبة التى فى عينك ؟
يا مراى ، أخرج أولاً الغشبة من عينك ، وحينئذ تنظر كيف تخرج
القذى من عين أخيك » .



وبما يُجِبُّ به ذلك الأخرق أيضاً من شبهات تبحث على التفهقة
ما قاله كذلك فى هذا الفصل تحت عنوان « الكلام الغريب » من أن
فى القرآن كثيراً من الكلمات الغريبة مثل « آبٌ وَغَسَلِينَ وَحَصَصَ
وَعَسَسَ وَالنَّاقُورَ وَمُدَّهَامَتَانِ » ، إذ يتساءل قائلاً : « أليست هذه
الألفاظ الغريبة مخالفة للتلوق السليم فى فن الإنشاء ؟ » (ص ١٩٦) .
فعلاً ما كان ينبغي أن تكون فى القرآن مثل هذه الألفاظ ، بل
كان يجب أن يعنى أسلوبه على غرار ما كانوا يعلمونه للأطفال فى
بداية المرحلة الابتدائية فى مصر قبل بضعة عقود من مثل : « شرَّشَرٌ

نَعُدُّ بِأَكْلٍ قَتَّ ؟ ! يَا لَهِ مِنْ هَذَا السَّخَفِ ! يَا لَهِ مِنْ هَذِهِ الرِّقَاعَةِ !
وأبعت من ذلك على القسمة أن تأتي هذه الملاحظة من جاهل
ركبك العقل واللغة لا يستطيع أن يصون عبارته من أخطاء النحو
الأولية ! لقد كلّم القرآن الكريم العرب بالأسلوب الذي يفهمونه ،
ومن الطبيعي بعد كل تلك القرون أن تصبح بعض ألفاظه غريبة على
الأجيال اللاحقة . ومع ذلك فإن مقارنة سرعة لِفْقَتِهِ بلغة الشعر
الجاهلي تثبت في الحال أن ما فيه من ألفاظ صارت بمرور الأيام
غريبة بعض الشيء ليس شبيها بالقياس إلى ذلك الشعر . إن هذا
الجاهل لا يفقه أن اللغة في مسيرتها مع الزمن تعثر بها تطورات
وتغييرات كثيرة ، ومع هذا فإن ألفاظ القرآن من أقل الألفاظ تعرضا
لمثل هذه التغييرات . وما أسهل ، على من يعرف أسباب نزول الآيات ،
أن يفهم النص القرآني رغم ما فيه في كثير من الأحيان من إيجاز
وبكثف .

وإني بدوري أسأله : لم يحتاج كتابكم المقدس كل فترة إلى أن
يُترجمَ من جديد ؟ ليس أحد الأسباب الرئيسية في ذلك أن لغة
الترجمات القديمة تفقد مع السنين بعض ما كانت تتمتع به من
وضوح ؟ ورغم هذا فإن في ذلك الكتاب ألفاظا لا يمكن فهمها
دون الرجوع إلى المعاجم منها على سبيل المثال : « جَلَدَ السَّمَاء » ،

والكِبَارَةُ ، والمَحْمَرُ ، والجَوْرَلُ ، والجَذَامَةُ ، والمِمْسَرُ ، والإِيْفَةُ ،
والْيَفَاحُ ، والشُّطْلُظُ ، والمُصَصَّافَةُ ، والظَّرَّانُ ، والمَصْبَاءُ ، والرَّوَّانُ ،
والمِمْسَاءُ ، والقَنْتُولُ ، والْقِنَّةُ ، والسَّمَنْجُونِي ، والحَرُضُ ، والرَّعَلُ ،
والسَّرَافُونُ ، والشُّونِيزُ ، والقَطَّانِي ، والهَلِيدُ ، والوُغُرُ ، والخَرَّاهِبُ ،
والوَرَجُ ، والسُّطُورُ ، والأَفُودُ ، والأنُوقُ ، والزُّوجُ ، والوَرَلُ ، والحِرْدُونُ ،
والبَلَّاسُ ... إلخ ... إلخ إن كان لذلك من آخر ١

لما الركَاكَةُ والتواءُ العبارة والمعجز عن التمييز المواضع السلس في
« أعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا القديس يوحنا » مثلاً فأمر يهون إلى
جانبه ذنب الضَّيْبِ الذي تُضْرَبُ به الأمثال في القبح والتفديد . وهناك
أيضاً مواضع في الكتاب المقدس تبلغ من الإبهام حداً يجعل الشراح
يخطئون رؤوسهم في الحائط بسبب عجزهم عن فهم المراد منها مثلما
هو الحال في الفصل الثامن عشر من « نبوة أشعيا » ، الذي يقول عنه
شراح الترجمة الكاثوليكية إنه « في غاية الإبهام والخفاء كما صرح
بذلك جميع المفسرين من المتقدمين والمتأخرين » (١) .

وإلى القارئ الآن بعض أمثلة من ركَاكَةِ الأسلوب أعخذناها

(١) انظر السوراني الملحق بترجمة العهد العتيق / ص ٥٣ / نهر ١ / الفقرة قبل
الأخيرة .

كيفما اتفق ، وهى من رسالة بولس إلى أهل روما : « لأن غير
 منظوراته (أى غير منظورات الله) قد أبصرت منذ خلق العالم إذ
 أدركت بالمبروءات » ، « فلذلك أسلمهم الله فى شهوات قلوبهم إلى
 النجاسة لفضيحة أجسادهم فى ذواتهم » ، « لذلك أسلمهم الله إلى
 أهواء الفضيحة » ، فإن إنالهم غير الاستعمال الطبيعى بالذى على
 خلاف الطبيعة ، « ويكون القَلَف الذى بالطبيعة وهو يتم الناموس
 يدينك أنت الذى بالحرف والختان تتعدى الناموس » ، « ونحن نعلم أن
 كل ما يقوله الناموس يقوله لأصحاب الناموس لكى يسد كل فم
 ويصبح العالم كله مجرماً لدى الله » ، إذ لا يبرر بأعمال الناموس أحد
 من ذوى الجسد أساساً لأنها بالناموس حُرِفَت الخطيئة . أما الآن فقد
 اعتلن بر الله بغير الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، وهو بر
 الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وحلى كل من الذين يؤمنون لأنه
 لا فرق ، إذ الجميع قد خطئوا فيموزهم مجد الله فيمبزون مجاناً
 بنعمته بالقضاء الذى هو بالمسيح يسوع » ، « طوبى للرجل الذى لم
 يحسب عليه الرب خطيئة . أقللختان فقط هذه الطوبى أم للقَلَف
 أيضاً ؟ فإننا نقول إن الإيمان حَسِبَ لإبراهيم برّاً ، فكيف حَسِبَ ؟
 إذا كان فى الختان أم إذا كان فى القَلَف ؟ إنه لم يكن حيثن فى

الخُتان بل في القَلْف . وقد أخذ سمة الخُتان خاتماً لِبَرِّ الإيمان الذي
كان في القَلْف ليكون أَمَّا لجميع الذين يؤمنون وهم في القَلْف
لِيُحَسَّبَ لَهُم أَيْضاً الْبَرُّ ... إلخ ... إلخ . أفهـُـجوز لِحَرْجِ هذه المدرسة
الأسلوبية أن يتشامخ على أسلوب القرآن ؟ بَعْدَ له وليوم نُقَدِّم فيه على
فلك الجريمة !

وبالنسبة لتكرار آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ » عدة مرات في سورة « الرحمن » نذكر صوبحبتنا الجاهل بعبارة « فإن إلى الأبد رحمته » ، التي تتأهت ستا وعشرين مرة في ست وعشرين جملة هي مجموع المزمور الخامس والثلاثين بعد المائة ، كما تكررت قبل ذلك في المزمور السابع عشر بعد المائة في الآيات الثلاث الأولى والآية الأخيرة . ومثلها كلمة « سلاء » ، التي تتكرر كثيرا في عدد من المزامير تكرارا متقاربا . ولناخذ أيضا : « سُبْحُوا الله في قدسه . سُبْحُوا في جِلْد عزته سُبْحُوا لأجل جبروته . سُبْحُوا بحسب كثرة عظمتة . سُبْحُوا بصوت البوق . سُبْحُوا بالعمود والكثارة . سُبْحُوا بالدف والرقص . سُبْحُوا بالأوتار والمزامير . سُبْحُوا بصنوج السماع . سُبْحُوا بصنوج الهتاف . كل نسمة فلتسبح الرب » ، وهو كل المزمور المائة والخمسين . وفي الفصلين الأول والثاني من سفر « الجامعة » نظل نتردد في آذاننا بإلحاح مزيج أن « الجميع باطل وكآبه الروح » . أما في بداية الفصل الثالث فتأتي عبارة « للشيء القلاني وقت » ثلاثين مرة على النحو التالي : « لكل غرضي تحت السماء وقت : للولادة وقت ، وللموت وقت . للمفترس وقت ، وللفلح المخرس وقت ... للاعتناق وقت ، وللإمسك من المعانقة وقت ... للتمزيق وقت ، وللخياطة وقت ... وهكذا إلى آخر المرات الثلاثين وفي الفصل الأربعين من سفر « يشوع » يتكرر عشر مرات تقريبا عبارة

الفصل الثانى

(شبهات خاصة بالمضمون)

شبهات خاصة بالمضمون

وبعد أن انتهينا من الاعتراضات اللفوية وبدا أن ليس للعبد الفاضل عينان في رأسه ولا عقل أيضا تتحول إلى اعتراضاته الخاصة بالمضمون. ولأن هذه الاعتراضات كثيرة ومتنوعة ، وبمعناها مما لا يمكن أن نصل فيه إلى شيء بسبب تعلقه بأمور مستقبلية أخبر القرآن أنها ستقع في آخر الزمان مما لا مدخل فيه للأخذ والرد لأنه لم يحدث بعد ، فليسوف أكتفى باختيار عدد كاف من هذه الاعتراضات لمناقشتها ، مستصحباً معي المسامحة الشديدة التي اصطحبتها في المناقشات اللفوية . وليسوف يرى القارئ الكريم ، رغم ذلك ، أن الأسداء قد ضيّبت على ذلك التعميس الذي يذكّرنا بمصرصور ينطح جبلا أشم بغية زحزحته عن موضعه !

وها نحن لولاء تتوكل على الله وتجعل مفتتح كلامنا ما قاله التقييل الظل الوحيم الفهم عن نوح عليه السلام . قال ، فض الله فاه ، ولعنه لعنة منتقلة : « جاء في سورة نوح » ٢٤ : « ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » ، فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالا ؟ كما أن الله ليس مصدر الضلال . ونوح نفسه لا يحب الضلال ، فالتاريخ المقدس يشهد له : « كان نوح رجلا باراً كاملاً في أجياله »

(تكوين / ٦ / ٩) وأنه «كان كارزا للبر» (٢ بطرس / ٢ / ٥) ،
(ص ٣١) .

هذا ما قاله الشقي ساعيا إلى حثفه بظلفه ، إذ قد أعطانا بذلك
فرصة طيبة لنعرض على القراء الأفاضل شيئا من الأفاكه التي سطرها
مؤلف سفر «التكوين» على أنها وحى إلهي ، مع أنها لا تزيد عن
كونها خرافات تصلح لسمر البدائيين على ضوء القمر في قلب
الغابة. وبعد أن نعرض بعضا من هذه الأفاكه والأفاهه ننتهي فنكر على
سخافات صوبحنا ونكسحها كسحا . والآن إلى هذه المقتطفات من
سفر «التكوين» ، وهي من الفصول التي سبق ذكر نوح فقط :

١ - «وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الجنة ، ومن ثم ينشعب
فيصير أربعة رؤوس : اسم أحدها فيشون ، وهو المحيط بجميع أرض
الحويمة حيث الذهب . وذعب تلك الأرض جيد . هناك للقل وحجر
الجزع . واسم النهر الثاني جيحون ، وهو المحيط بجميع أرض الجنة .
واسم النهر الثالث حدائقل ، وهو الجارى في شرقي آشور . والنهر
الرابع هو الفرات » (١٠ / ١ - ١٤) . رأيت أيها القارئ العزيز هذه
الشرر الجغرافية والجيولوجية الملحميتية التي يتقاصر دونها كل ما
في كتب علماء الجغرافيا والجيولوجيا ؟

٢ - ٥ فسمعنا (أى آدم وحواء) صوت الإله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وابرقه من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ قال : إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت » (٨/٣ - ١٠) . ترى هذا إله لم عمدة من عمدة الريف عندما خرج لتفقد حقوله بعد غفوة القيلولة وهبوب نسمة العاصري ؟ ثم أى إله هذا الذى يختبئ منه عباده فلا يستطيع أن يعرف أين اختبأوا فهضطر إلى رفع صوته يسألهم أين يختبئون ؟

٣ - ٣ فقال الرب لقائين (بعد أن قتل أخاه هابيل) : أين هابيل أسوك ؟ قال : لا أعلم . ألملى حارس لأخى ؟ (٩/٤) . فانظر إلى قلة الأدب والجلافة الموجودة في هذا الكلام الموجه إلى الله ! إنها الوقاحة اليهودية الفاجرة !

٤ - ٥ ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وُلِدَ لهم بنات رأى بنو الله بنات الناس إنهن حسنات فاتخذوا لهن نساءً من جميع من اختاروا ، فقال الرب : لا تحلّ روحي على الإنسان أبداً لأنه جسد ، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة . وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيام وأيضاً بعد أن دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهن

أولادا . أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدهر . ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام ، فندم الرب أنه جعل الإنسان على الأرض وأسف في قلبه ، فقال الرب : أفسح الإنسان الذي خلقتُ عن وجه الأرض : الإنسان مع البهائم والنباتات وطير السماء لأنني ندمت على خلقي لهم . (١ / ٦ - ٧) . هل سمع أحد من عقلاء البشر أو حتى مجانبيه أن لله أولادا ؟ ومن أمهم يا ترى ؟ ثم عندما ذهب أولاد الله ليخطبوا بنات الناس ، هل أخذوه معهم ليشاخ أباءهم ويتلقى معهم على الشبكة والمهر والشقة والأثاث ؟ ثم أي إله هذا الذي بأسف ويندم على ما فعل ؟ هذا ليس هو الله رب العالمين بل إله من آلهة الوثنيين الهدائين بلغ من غضبه وندمه أن تشوش عقله فلم يعد يستطيع أن يقوم بألفه العمليات الحسابية ، فمرة يقول لنوح : خذ من كل كائني حي اثنين اثنين ذكرا وأنثى ، ثم ينسى ما قاله بعد قليل فيجعل العدد من الحيوانات الطاهرة ومن طير السماء سبعة سبعة ذكورا وإناثا ، ليمود مرة أخرى إلى عند الاثنين^(١) . ولقد مرّ في النص السابق أنه كان هناك جبابرة كثيرون قبل الطوفان : قبل أن يتخذ أباء الله بنات

(١) تكوين ١ / ٦ - ١٩ ، ٢٠ ، ١ / ٧ - ٢ ، ١٥ ، ١٦ .

الناس ، وأيضاً بعد أن انقضوا عليهم نساء ، إلا أن كتاب هذا السفر ، كمادة مؤلفي الكتاب المقدس ، قد نسي هذا فقال عن نمرود (حفيد ابن نوح ، الذي وُلد بعد الطوفان بزمان طويل) إنه « أول جبار في الأرض »^(١) . وحتى نمرود هذا لا نرى بالضبط من أبوه : فمرة يذكر الكتاب أبناء كوش بن حام بن نوح فلا يورد بينهم اسم نمرود ، انفاجاً به بعد أقل من سطر يقول : « وكوش وُلد نمرود »^(٢) .

وبعد هذه التفكهة نرجع إلى ما قاله الشقيُّ عبدَ نفسه ، إذ يستغرب دعوة نوح ربه أن يهد الناس ضللاً . ونحب أولاً أن نوضح أن نوحاً لم يدعُ على الناس بإطلاق بل على الظالمين فحسب ، لكن الأعمى البصر والبصيرة لا يدرك هذا . ثم إن نوحاً ، في كتابهم المقدس ، قد دعا على حفيد كنعان ولتته لا لشيء إلا لأنه هو قد شرب خمرًا حتى سكر وانطرح على الأرض وتكشفت سوائه فراه ابنه حام (أبو كنعان) على ذلك الوضع ، فلما أفاق نوح وعلم بما حدث انطلق في نوبة مسمورة يلعن كنعان ويدعو عليه بأن يجعله الله عبداً

(١) تكوين ١٠ / ٨ .

(٢) تكوين ١٠ / ٧ - ٨ .

لعبيد إخوته^(١)، مع أنه لا ذنب لحام فضلا عن كتمان المسكين الذي لا ناقة له في المسألة ولا جمل ، ولكن يبدو أن الكير لم يكن قد أفاق تماما من الخمر فلم يكن يرى ماذا يقول ولا ماذا يفعل ، ولا على من يدهو ولا من يلعن . أومثل هذا اللعان للأبناء يستبعد العبد الفاضل أن يدهو على الظالمين من قومه ؟ أمكنا يخرجك حقدك يا عبد الفاضل على سيد الأنبياء عن كل عقل وفهم ؟

ثم إن الذي يسمع ذلك العبد الفاضل وهو يقول إن الله ليس مصدر الضلال ، سيتعامل على الفور : فكيف يؤمنون إذن بما يقوله كتابكم المقدس عن الرب الذي ندم على خلق البشر وعزم على استعصا لهم ؟ ولماذا لم يفكر في هدايتهم بدل هذا القرار الاستعصالي الذي لن يأتي رغم ذلك بالنتيجة المرجوة لأن البشر لن يتغيروا؟ والمضحك في الأمر أن الرب ، الذي يعرف هذا جيدا ، قد أخذ احتياطة (حسب كلام الكتاب المقدس نفسه) حتى لا ينسى مرة أخرى في حمرة ندمة على خلق البشر فيفرقهم بالطوفان كما

(١) تكوين ١٩ / ٢٠ - ٢٧ . وحي من الرب أن لا تصدق أن نوحا عليه السلام قد نسي شيئا من ذلك ، فوح حدثا نبي كريم ، لكننا نجاري الشقي . فحدثنا هنا إنما هو من نوح العهد الحقيق الذي ليس في مفردة التكوين ، أبدا أنه نبي ، لا من نوح الذي نعرفه في قرآنا الكريم .

فعل من قبل ، إذ لجأ إلى وسيلة تذكره إذا سها ، ألا وهي أنه عند سقوط المطر يظهر قوس قزح ، فإذا رآه تنبه فلم يرسل عليهم الطوفان^(١).

وما دام العبد الفاضل قد فهم أن الله ليس مصدر الضلال ، فَمِمَّ
يا ترى يفسر غيرة هذا الرب ذاته من آدم لمعرفته الخير والشر مثله كما
جاء في الكتاب المقدس ، فأخرجه لذلك من الجنة إلى الأرض وما
فيها من نعيم وهم^(٢) ؟ وما السر يا ترى في حقد ذلك الرب على
البشر حين رآهم شعباً واحداً فآفة واحدة فبابل الستهم وشئت
شملهم وندمهم في الأرض تديداً^(٣) ؟ وإذا كان نوح ، كما يقول
العبد الفاضل ، باراً كاملاً في أجياله ، فكيف يا ترى كان يسكر
على النحو الذي رأينا ولمن حفيده ودهو عليه بالمبودية دون ذنب
جناه ذلك الحفيد المسكين ؟ من هنا فإننا لا ندرى لأي سبب «نال
نوح حظوة في عيني الرب». إن سفر «التكوين» لا يذكر لنا شيئاً
يستحق أن ينال لأجله الحظوة الإلهية دون سائر البهية أو لقد لمز.

(١) تكوين / ٩ - ٦ - ١٧ .

(٢) تكوين / ٣ / ٢٢ - ٢٣ .

(٣) تكوين / ١ / ٩ .

المسيح نفسه شجرة تين حبيبها هو مكتوب في الأناجيل لا شيء سوى أنه لم يجد فيها تينا لأن الموسم لم يكن موسم تين . فما وجه القراية إذن أن يدعو نوح على الظالمين من قومه بأن يذبحهم الله ضللا ، أى بالأعطية سبحة فرصة أخرى بعد أن استنفدوا كل الفرص على مدى مئات السنين التي ظل يدعوهم فيها إلى الله عبثا فأصبروا على ما هم فيه من ضلال ؟ ما وجه القراية في هذا أيها التمس ؟

ويستكر الشقي أن يكون إسماعيل عليه السلام رسولا نبيا طبقا لما جاء في سورة مريم ٥٤ / ٥٤ ، قائلا : « كيف يكون إسماعيل نبيا ، والشواة تصفه في « تكون » ١٦ / ١٦ : « وإنه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » ؟ (ص ٤٠) . وإنا لنسأل : وهل في هذا النص أن الله حرّمه من النبوة ؟ وهذا إن صلتنا أنه نص صحيح ، وهو ما لا يدخل عقولنا أبدا . كيف ذلك ؟ تعالوا لتفحص النص عن قرب ونجول جولة في بعض أسفار الكتاب المقدس لترى مدى منطقية ما يقول .

ولول شيء يستلزم أن نقف حياله هو أن هذه العبارة التي استشهد

بها ذلك التعميس هي جزء من بشارة ملاك الرب لهاجر أم إسماعيل
 (عليها وعلى ابنها السلام رغم أنف الحفدة من بني إسرائيل ومن
 يشاهمونهم في هذا الحقد عليهما)، وذلك حين هربت من المعاملة
 لذلك التي كانت تعاملها بها سارة عليها السلام حسبما يقول كتاب
 سفر التكوين^(١). وهذه هي بشارة الملاك كاملة : «لَا كَثْرُنْ لِسُوكِ
 نَكْتِيرَا حَتَّى لَا يَحْصُرَ لِكثْرَتِهِ . وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ : هَآئِثِ حَامِلٌ ،
 وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيْتُهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَاكَ ،
 وَهَيَكُنْ رَجُلًا وَحِشًا : يَدُهُ عَلَى الْكُلِّ ، وَبِدِ الْكُلِّ عَلَيْهِ ، وَأَمَامَ جَمِيعِ
 إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ^(٢) . وَأَسْتَحْلِفُكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ : أَهَذِهِ بَشَارَةٌ أَمْ
 نَذِيرَةٌ ؟ أَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَمْتَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبْدِهِ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّهُ سَيَنْجِمُ عَلَيْهِ
 مِثْلًا بِقَصِيرٍ فَخَمَّ لَنْ يَجِدَ فِيهِ وَاحِدَةً أَبَدًا يَلِي سِتْكَوْنُ أَيَّامِهِ فِيهِ كُلُّهَا
 خَقْلَةً وَنَكْنَا ، أَوْ أَنْ يَقُولَ لَهُ : إِيَّيْ وَلِيْعَيْكَ يَا عِبْدِي لِرُؤْيَا هَائِلَةٍ تَنْفَقُهَا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى أَمْرَاضِكَ وَأَمْرَاضِ أَوْلَادِكَ الْمُسْتَعْصِمَةِ ؟ بِإِلَّهِ أَهَذِهِ
 بَشَرَى ؟ إِنِّيهَا لِأَنْتَظِرُ بِالْهَمِّ وَالنَّهْمِ وَالشَّقَاءِ ! وَالْمُضْطَّكُ أَنْ هَاجَرَ ، كَمَا
 جَاءَ فِي آيَةِ التِّي بَعْدَ ذَلِكَ ، تَتَلَعَّ فِي مَدَاجِجَةٍ مُطْلَقَةٍ لَا تُحْصَدُ عَلَيْهَا
 هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَدْخُلُ الْعَقْلُ وَتَعْدَهُ مَكْرَمَةٌ عَظِيمَةٌ !

(١) تكوين ١٦ / ١٠ - ١٢ .

أما الأمر الثاني فهو أن الكتاب المقدس لا يذكر شيئا من هذا التوحش الذي دمع به إسماعييل مَلْفَقُ الكلام السابق ، بل على العكس نرى يعقوب بن إسحاق يذهب فيتنزوج مَحَلَّة بنت إسماعييل بدلا من بنت خاله التي أمره أبوه بالغازها امرأة له^(١) . فآين التوحش هنا ؟ وواضح أن يعقوب كان يعرف أنه لا تصلح له بنت أخي أمه ، تلك الأم التي أضرمت بينه وبين أخيه عيسو نار الكراهية والتقاتل حسبما جاء في العهد العتيق فابتعد عن كل ما له صلة بأمه وأخذ بنت عمه الرجل النبيل الذي افتى عليه الرور مَلْفَقُ سفر «التكوين» الكذاب الأشر .

لكن ما الذي فعلته رفقة زوجة إسحاق فأضرمت به نار الكراهية والانشقاق والتقاتل بين ولديها ؟ لقد أراد زوجها الشيخ الكلبل البصر أن يبارك ابنها البكر عيسو ، لكنها تسارع فتخبر يعقوب بما ينويه أبوه ، وتطلب منه أن يهيئ لأبيه طعاما قبل أن يعود أخوه من رحلة الصيد بالطعام الذي اشتهاه أبوه ، وأن يلبس ملابس أخيه ويغطي يديه وعنقه بفروة مزمز لأنه كان أملط على عكس عيسو الأثمنر . وتدخل الحيلة الساذجة مع الطعام الجيد والخمر المتقنة عقل إسحاق ، ونال

(١) تكوين / ٢٧ وما بعده .

يعقوب البركة بالتزوير . وعند رجوع عيسو من الصيد وعلمه بما وقع يخبر أباه بما حدث فيكون رده أنه لا يستطيع له شيئا لأن البركة قد أخذها أخوه ، وما تكسر لا يمكن إصلاحه^(١) ، ولا أدرى لماذا ، فالمفروض أن المكر السى لا يحق إلا بأهله ، بيد أنه كان لئس الله يعقوب رأى آخر . ولكن قلنا من هذه أيضا ، وإلا فلن تنتهى ، فكل المهد المتيق هكذا ، فإننا ذهبنا نرفعه نصرق في أيدينا ! المهم أن البغض والعقد والتناحر قد طبع منذ ذلك الحين العلاقة بين الأخوين بطائفة الخبيث ، والبركة في الأم ، التي يجعلها أهل الكتاب نبيه من أنبيائهم ، وكان الحب والشر والكلب والإجرام والخداع والتلفيق هي مؤهلات النبوة عندهم^(٢) . أراهم ، أيها القراء الأعزلاء ، في أي معسكر يوجد الشوحش : في إسماعيل عليه السلام وفريته أم في المعسكر المقابل ؟

على أن هنا لم يكن التزييف الأول في حق إسماعيل ، فقد سبق أن كذب العهد المتيق عليه وتجاهله في مسألة الذبح كأنه لم

(١) فكبير / ٢٧ وما بعده .

(٢) رددت على الزعم الخامس نبوة رفقة طه في كتابي « مع الجاحظ في رسالة

الرد على القصارى » / مكتبة زهران الشرق / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م / الفصل

الخامس - « نبوة انعام » والذي يشغل الصفحات ٩٩ - ١١٥ .

يكن له وجود البتة أو كأنه على الأقل لم يكن قد وُلد بعد . وتفصيل الأمر أن إسماعيل ، كما هو معروف وكما جاء في الكتاب المقدس نفسه ، قد وُلد قبل إسحاق بعدة أعوام ، ومع ذلك يقول ملفق سفر «التكوين» ، الذي يتنفس الكذب تنفساً وتمتع بوجه وقع فلا يظرف له جفن ، وهو يقترب الكذب جهاراً نهاراً وعلى مرأى ومسمع من العالمين ، هذا الملفق الكذاب يقول إن الله أراد أن يمتحن إيمان إبراهيم فقال له : «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق وامض إلى أرض مصرية وأصعبه هناك محرقة على أحد الجبال الذي أمرتك...» (١) . أيعقل أن يقول الله عن إسحاق إنه ولد لإبراهيم الوحيد ؟ فماذا كان إسماعيل إذن ؟ ألمع له كان ابن الجيران ؟ أم ترى نسي الله سبحانه أنه كان قد وهب لإبراهيم قبل عدة أعوام ابناً اسمه إسماعيل ؟ لكن لماذا ؟ أيمكن أن يكون هذا هو الله رب العالمين الذي نعرفه أم هو إله من آلهة الوثنيين البدائيين ؟ ثم يأتي في آخر الزمان صوبحنا الجاهل وتحدانا بمثل هذه المخافات ؟ عجبت لك يا زمن !

ولأن الطبع غلاب فإن يعقوب عاد بعد هذا فصاهر خاله لاهان عاهد الأصنام ... ولكن يحسن أن نورد القصة كاملة أولاً حتى يتبين

(١) تكوين ٢٢ / ١ - ١٣ .

للقارئ أن فوق كل ذي مكر من هو أمكر منه . لقد شاهد يعقوب أثناء ترحاله إلى الشرق بنتَ عماله راحيل وهي تسوق غنمها إلى البئر ، وكانت راحيل جميلة ، فأحلت بلبه ، وجاء أبوها فعانقه وقبله وأخذه إلى بيته حيث مكث هنده سبع سنين علمه فيها لقاء التزوج بحبيبة قلبه . بيد أنه في صباحية دعو له بها ففى آخر السنوات السبع فرجى بأن عماله قد زوجه بدلا منها لئلا أعفها العاطلة من الجمال^(١) . أى أنه أعطاه «مقلبا سحنا» ، ومن شابه أخوته فما ظلم ! ورغم ذلك يصف مؤلف سفر «التكوين» إسماعيل بالتوحش والنفور من الخلق ونفور الخلق منه ! ولما نقطة أخرى فى القصة تدل على سيطرة هذا الملقق لدى يكذب ولا يعرف كيف يسوى كلبه كما يقول أهل الرفف ، إذ يذكر أن يعقوب لم يتبين الخدعة إلا فى الصباح . أى أنه قضى الليل كله فى أحضان لئىة وهو يظنها راحيل ! ترى ألم يكن هناك نور فى تلك الليلة البتة ؟ وحتى لو لم يكن هناك نور ، أكانا يمارسان الجنس فى ظلم من أفلام السينما الصامتة فلم يتعرف يعقوب على حروسه من صوتهما ؟ انظر أنت أيها القارئ وتعجب ، أما أنا فأسكت ! لم يقولون بعد ذلك كله إن هذا وحى إلهى !

(١) تكوين ١ / ٢٩ - ٢٥ .

ولكن هل هذا هو كل شيء ؟ كلا ، فما زلنا في أول فصول المسرحية الهزلية ، وإن كنت لا أتوى أن أحكى كل فصولها بل سأجتزئ بعضها ، ويمكن القارئ أن يقيس ما لم أحكه على ما حكيتُ . وما نحن أولاء الآن مع أولاد يعقوب ، الذين مزقتهم الأحقاد بسبب المعاملة للتحيزة التي كان أبوهم يميز بها بعضهم على بعض . ومعرفة قصة يوسف وتأمر إخوته عليه بما حكاه العهد المتين والقرآن الكريم جميعا ، وهو تأمر بشع يدل على المدى الوحشي الرهيب الذي بلغه الانشقاق بين أولاد يعقوب . ثم لا يستحي ملثف سفر التكوين^(١) فيرمي إسماعيل عليه السلام بالوحشية والنفور رغم كرمه ونبل طبعه وأخلاقه ! إلا أن فضائح بيت يعقوب طبقا لرواية العهد المتين لم تنته بعد ، فقد وقعت دينة بنت يعقوب في غرام شكيم بن حمور الوثني الأفلف ومارست معه الفاحشة^(٢) ، كما زنى أخوها يهوذا بشامار أرملة ابنه عمير وهو يحسب أنها بنى ، إذ كانت أدخلت زيتها وهيأت نفسها له وترصدته حتى أوقعت به وهي متقبة . ومن بجاذبه أنه ، عندما علم أنها قد اشتغلت بهنًا ، أمر بإخراجها

(١) هذا ما رواه ملثف العهد المتين (تكوين / ٣٤ / ١ وما بعدها) ، وإن كنا نحن المسلمين نستبعد تماما حدوث مثل ذلك الدنس في بيوت أنبياء الله ، ولكننا نجرى مع ما يقول القوم ، وحله غاية السهولة من جانبنا ، إذ لا نأعلمهم إلا بأقوالهم هم .

لشَرِّقِ جزءَ ممارستها للبناء ، لكنَّ ما إنَّ عرِفَتْه أنها إنما مارست معه
الزنا لا مع غيره حتى غَرِسَ وأكفأ على الخبر ماجروا ، وعفا الله عما
سلف^(١) !

ولا يقلَّ رموزين أخوه هه في الفحش والفجور إن لم يَفْقَهْ ، فقد
اعتدى على حُرِّضِ أبيه فضاجع سُرَّتَه^(٢) . ولعلك ، أيها القارئ
العزیز، تظن أن الأب قد ثار على هذا الفجور وأدب الزانیین بما
يستحقان ، لكن أرجوك ألا تكون حسن النية إلى هذا الحد لأن
كتابهم المقدس يقول شيئا آخر ، فهذا هو ذا يعقوب يدهو أولاده في
آخر صمره ليكلّمهم في بعض الأمور المهمة ، فيكون أول كلامه أن
خطب رموزين قائلا : « رموزين ، أنت بكري ، قوتی ، وأول قدرتی .
فاضلٌ في الشرف ، فاضلٌ في العز . فُوتَ كالماء . لا تَفْضُلُ لأنك
هلوتَ مضجع أبيك . حبيذ دُنْتُه . على فراشي صَبَدَ »^(٣) . وواضح
رنة الفخر برموزين في كلام أبيه ، إذ يصفه بأنه « فاضلٌ في الشرف ،
فاضلٌ في العز » وأنه « أول قدرتی » . أما الجملتان الأخيرتان اللتان
يلمح فيهما إلى زنا ابته بسُرَّتَه فهما كالخمة الناشزة بين سائر أنعام

(١) تكون / ٢٨ كله . ولما لا أصدق شيئا من ذلك ، ولكن حكنا بقول للفقهاء !

(٢) تكون / ٢٥ / ٢٢ .

(٣) تكون / ١٩ / ١ - ٤ .

اللعن الأخرى المتأسفة . وعلى أية حال فهما كل ما هنالك من رد فعل على هذه الفاحشة النكراء ! حقا أنها عائلة شريفة !

ومن هذا الوادى المتن أيضا ما عزاه الكتاب المقدس إلى داود عليه السلام من التجسس من فوق قصره على زوجة قائد العربى أوربّا وهى تستنعم عارية فى فناء بيتها المكشوف (على طريقة مشاهد « الإستريپتيز : striptease ») ، ثم استدعائها إلى القصر والزنا بها ، ثم قضائه على زوجها بمؤامرة إجرامية غسيسة ، ثم لعنته لها فيه (فهو يقتل القتييل ويمشى فى جنازته !) ، ثم تزوجه بها وإنجابها سليمان منها . أى أن سليمان عليه السلام عندهم هو ابن هذه الزانية ! الله أكبر ! فلا عجب إذن أن ينظم من كان ابنا لثقل هذه المرأة نشيد المهر المسحى « نشيد الأناشيد » . وكانت نتيجة قتل داود مع امرأة قائده أن سخط الله عليه وتهنئه قائلا : « والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ... إني مشرّ عليك الشر من بيتك » ، وسأخذ أزواجك وأدفعهن إلى غيرك فدخل على أزواجك فى حين هذه الشمس »^(١) . وتستمر مخازى هذه العائلة المحترمة حسبما سطر ملففقر الكتاب المقدس ، فهنا هو أمنون بن داود يقترب زنى المحارم مع أخته الجميلة

(١) للربك الشئ / ١١ كله و١٢ حتى الجملة الحادية عشرة .

تامار ، ولم يفتح أبوه بكلمة حرصا على ألا يؤله لأنه كان يعبه^(١) .
 أَنْعِمُ وَأَكْرِمُ | ورغم ذلك كله يشمخ العبد الفاضل على إسماعيل
 عليه السلام قائلا إنه لا يصلح للنبوة . هل رأيتم وقاحة من قبل
 كهذه الوقاحة ؟

ولتعد إلى نبوءات يعقوب الخاصة بمستقبل أولاده الآخرين حيث
 نقرأ : « شمعون ولاوى أخوان . سوفهما آلات جور . مجلسهما لا
 تدخله نفسى ، وفى مجمعهما لا تتحد داني . فى سخطهما قتلا
 إنسانا ، وفى رضاعهما عرقبا لورا . ملعون سخطهما فإنه شديد ،
 وغضبهما فإنه قاسي . أقتسمهما فى يعقوب ، وأبندهما فى إسرائيل .
 يهوذا ، إياك يحمذك إيعوثك . يذك على قللي أهدائك . يسجد لك
 بنو أبيك^(٢) ... يكون دان لعبانا على الطريق وأفعوانا على السبيل ،
 يلسع رُسخ الفرس فيسقط الراكب إلى الوراء ... جاد يقحمه الغزاة ،
 وهو يقحم ساقنتهم ... يوسف ... قامرته أصحاب السهام ورمته
 فاضطهنته ... بنيامين قتب يفترس . بالنداء يأكل خنمة ، وبالمشى
 يقسم السلب^(٣) .

(١) للزك التقي / ١٣ / ١ - ٢١ .

(٢) لاحظ أن يهوذا ذك هو الذى مارس زنا المحارم مع كخته . يا لها من نبوءات
 صادقة !

(٣) تكوين / ٤٩ / ١ - ٢٢ .

ثم إن بني إسرائيل كانوا على امتداد تاريخهم الطويل ولا يزالون
يغضون الأمم الأخرى ويغضهم الأمم الأخرى حتى ضرب للثال
بـ « الجيتو » و « حارة اليهود » حيث يعيشون في عزلة عن سائر
أهل البلاد التي ينزلونها . وأسفار المهد المتيق تضطرم باللغات
والنبوءات القائمة التي تنتظر ذلك الشعب الصلب الرقبة ، وهو دائما
وأبدا محط سخط الله وشتمه ووزاياه . نستمتع معا إلى أشعيا على
سهيل المثال وهو يصرخ في غضب ونأس من صلاح حال أولئك
الأوغاد : « السيد (أي الرب) أرسل كلمة على يعقوب فوقعت على
إسرائيل ، وسيعلم الشعب كله ... سينهض الرب عليه أعداء رصين
وسلح أعداءه : أرام من الشرق ، وفلسطين من الغرب ، فيها كلون
إسرائيل بكل أنفواهم ... سيقطع الرب من إسرائيل الرأس والئنب ...
يغضب رب الجنود تضطرم الأرض فيكون الشعب مثل وقود النار ، لا
يشفق واحد على أخيه ... يأكلون كل واحد لحم ذراعه : منسى
أفرائيم ، وأفرائيم منسى ، وكلاهما يقومان على يهوذا . مع هذا كله
لم يزل غضبه ، ولم تزل يده مملودة » (١) .

والآن نشور سؤال : من الوحشيون يا نرى : إسماعيل وخرته أم

(١) نبوة أشعيا ١٦ / ٩ - ٢١ .

إسحاق ، وهؤلاء هم أولاده وأحفاده كما يعرضهم علينا الكتاب المقدس : خنًا وغشًا وكذبًا وقتل وقامر جسوس وزنا بالمحارم وحقد وقتال فيما بينهم ومع الآخرين ؟ ولقد انتهى أمر السيد المسيح مع بنى إسرائيل إلى أن أثار ظهره لهم بعدما لقي منهم الأمن وأعطى وجهه للأُم الأخرى وطلب من تلاميذه أن يحملوا دعوتهم إليهم طبقاً لما تقوله الأناجيل فلها . أَفَلَاكَ بعد ذلك أيها الأحقق حين تجرؤ على مواجهتنا بها ؟



وبالنسبة لما جاء في القرآن الكريم عن امرأة العزيز ودعوتها من بَلَكَنَ سِيرَتِهَا من نسوة المدينة إلى مُتَكِبًا في بيوتها واعتراقتها أمامهن بأنها مشغوفة يوسف ... إلخ يتعامل الأحقق مستكبرا : « هل يُعْقَلُ أن زوجة ضابط كبير تهوى وليمة خبيثاً وتدعو سيدات أشراف المدينة لتعلن أمامهن غرامها بهيها وتكشف عن وجهها برقع الحياء دون أن تغشى فضيحة ؟ وكيف يُعْقَلُ أن النسوة يتشغلن بجمال يوسف حتى ليقطنن أيديهن بالسكاكين من غير إحساس من شدة الدحول ؟ » (ص ٤١) .

وأحسب أن القراء الكرام ، بعد فضائح الكتاب المقدس التي

ذكرتها لهم ، يستطيعون أن يدركوا إلى أى مدى بلغ جمود وجه هذا الأحق الذى يتظاهر بطية الطوية ويستغرب أن يصل التذلل بأمرأة ضابط كبير إلى ذلك الحد . يا أخا الحماقة ، إن الترف الإجرامى ليرودى إلى هذا وإلى ما هو أشنع من هذا كما يعرف كل الناس . وماذا تنتظر من امرأة كانت تطارد ابنها بالتهنى على هذا النحو وتقول له بصريح العبارة كما جاء فى كتابكم المقدس : « ضاجعني » (هكذا بالحرف الواحد) ؟ ثم إن زوجها ، طبقاً لما جاء فى كتابكم ، كان عصبياً ، أى أنها كانت تعاني من الحرمان الجسدى المطلق ^(١) . كما أن أولئك النسوة قد قَصَصْنَهَا فى كل مكان بالمدينة فلم يمد هناك معنى لاحتفاظها بربق الحياء ، إذ وقعت الواقعة وانتهى الأمر .

ولقد تابع العالم منذ سنوات غير بعيدة الأمير تشارلز وللى عهد بريطانيا وزوجته الأميرة ديانا ، وكلاهما يعترف فى المراء أمام مئات الملايين فى أرجاء الكرة الأرضية باللقاءات الجنسية التى مارسها فى

(١) لست أصدق أن زوجها كان عصبياً ، لأن العصبان لا يتزوجون ، ولأنها هى نفسها ما كانت لتقبل الزواج منه لو افترضنا أنه فقد عقله وتقدم على هذه الخطوة ، لكنى أعتقد صَوِّهِنَا الأحق بما جاء فى كتابهم لأن له أنه ، فى كل ما يشغب به على القرآن ، إنما يحبط على غير مدى فى القفس الضيق الذى سى إليه بظلمة !

الحرام من وراء رفيقه . وقيل ذلك بسنوات كان التلغاز البيطاني مشغولا في مشرقه لفترة طويلة بمشق الأميرة آن (أخت تشارلز) للضابط مارك فيلبس ومشق خالته الأميرة مرجريت لأحد المصورين .
وقل مثل ذلك في زوجتي أخويه . كذلك فالأحمق يعرف جيدا ما كان يفعله بعض البهوات روما في المصور الوسطى ، إذ يصطحب الواحد منهم عشيقته معه وهو ينور على رهاياه في جولاته (المقدسة) (المقدسة جدا) بوصفه خليفة المسيح على الأرض (ومعروف ما يمثله المسيح عليه السلام عند النصارى) ، فضلا عن أن بعضهم الآخر كان يمارس الزنا مع أخته بعلم من حوله على أقل تقدير !

وفي الكتاب المقدس نفسه نجد مثلا ابتنى لوط تنفقان دون حجب أو حياء على أن تسقيا أباهما خمرًا حتى يفقد الوهي لم تضاجعاه الواحدة بعد الأخرى لتحبلا منه . ولا ننس داود ، الذي رأيناه ، بعد أن شاهد بنشيع روجة لوريًا قائلة من فوق سطح القصر ، يرسل من يحضرها إليه ويدخلها عليه . ومعنى ذلك أنه ، وهذا كلام الكتاب المقدس لا كلامي ، لم يسبح من إعلان عشقه لها أمام رجال حاشيته على الأقل . ثم إنها ، بعد أن حملت منه ، قد أرسلت إليه من ينبعه بالأمر . ومعنى ذلك أيضا أنها لم تخجل من أن تعلن أمام من أرسلتهم إليه أنها زنت معه وحملت منه . ثم إنه قد اتفق مع

بعض رجاله أن يخلصوه من أوربا زوجها حتى يخلص له وجه يتشبع .
 ومعنى ذلك ثالثاً أنه لم يخجل من إثناء تلبه في هولاء وما استتبعه
 هذا التلبه من القضاء على الزوج المسكين ^(١) . أفنق يا عبد الفاضل
 من أوهامك السخيفة ، ولا تحاول أن تقرب من القرآن لأنه «لا يمس»
 إلا المطهرون » !

أما مسألة تقطيع النسوة أيديهن ، فما الغريب في أن تخرج
 أنفسها بسكين حاد في يدها تقطع به الفاكهة ، امرأة مترفة نزقة
 طائفة عندما يخرج عليها فجأة شاب باهر الوسامة قد أصبح حديث
 المدينة بسبب ولّه امرأة العزيز يهملها ويهملاتها به ؟ وفي كثير من
 القصص والأفلام الواقعية من صنوف هذا الوله المهنون ما لا يعد

(١) وهناك الآن أنثى المرأة حيث : يخجل أعضاؤها من كشف موكبهم بعضهم أمام
 بعض ، وكذلك جسيات لبادل الزوجات ، ومؤتمرات الشواذ العلنية ومظاهراتهم
 في الشوارع ومطالبتهم بحرية الشفوذ وأن يمانلوا معاملة محرمة ولا يتعرض لهم
 أحد بأي شيء . وفي المحاكم في جميع أنحاء العالم كثير من قضايا الأحوال
 الشخصية التي يبادل فيها الزوجان اتهامات الحياة ويخوضان على مرأى
 ومسمع من جمهور الحاضرين في أمور تشتمل منها النفوس الكريمة . ولقد
 كان بمصطاعهما تجنب كل ذلك وانغمس على الطلاق الهادئ بعيداً من
 الفضائح ، لكنهما بفضلان مع ذلك سلوك هذا الطريق الوعر ونشر غسيلهما
 لقتل أدم كل السيون !

الذى فعلته صواحب يوسف بجانبه شيئا يستحق الذكر .

وقد ضلت الفتيات في مصر ما هو أشجع من هذا عندما مات أحد
المطربين العاطفيين منذ نحو ربع قرن ، ولم يكن يحتمع بشيء من
جمال يوسف الذى ضُربت به الأمثال ، ومع ذلك انتحر بعضهن من
شدة غرامهن به ! إن الحياة مملوءة بالغرائب ، وإن النفس البشرية
لتفاجئنا كل يوم بما لا يخطر على البال ، فلماذا الاعتراض على
القرآن الكريم فى تجريح النسوة المشتعات على امرأة العزيز أيديهن
بالسكاكين انبهارا بجمال يوسف ؟ ؟

ويقول البهاء الأحق أيضا : «جاء فى سورة القصص» ٨ / ،
٣٨ : «إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطفين» ، «وقال فرعون :
يا أيها الملأ ، ما علمتُ لكم من إله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على
الطين فاجعل لى صرحًا لعلى أطلح إلى إله موسى ، وإنى لأظنه من
الكاذبين» ، وجاء فى سورة «خافه» / ٣٦ : «قال فرعون : يا هامان ،
ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب . يقول القرآن إن هامان كان وزير
فرعون ، بينما حجت التاريخ أن هامان كان وزيراً لأحشوريش وأن بين
فرعون وهامان زهاء ألف سنة . ثم إن فرعون كان ملك مصر ، وكان
هامان وزيراً فى بابل ، وما أبعد الزمان والمكان بين فرعون وهامان !

فكيف يكون هذا وزيرا لذلك ؟ ويقول سيفر «أستبر» في التوراة إن هامان كان وزيرا وخطيلا لأحشوروش ملك الفرس الذي يدعو اليونان زركس » (ص ٢٩) .

وقبل أن نبدأ في تفنيد هذا السخف أوجه نظر القراء الكرام إلى جهل العبد الفاضل حتى فيما لا يمكن الخطأ فيه إلا من كائن فقد عقله تمام الفقدان : فأولا لم يقل القرآن في أى موضع منه إن هامان كان وزيرا لفرعون . وما هى ذى كل النصوص الذى ذكر فيها هامان فى الكتاب المجيد قد أوردنا صوبحنا ، فهل ترى فيها ، أيها القارئ العزيز ، أنه كان وزيرا لفرعون ؟ لقد ذكر اسمه مع فرعون ، وأمره فرعون أن يبنى له صرحا ، لكن القرآن لم يقل إنه كان وزيرا لفرعون . قد يكون فعلا وزيرا ، وقد يكون كاهنه الأكبر ، وقد يكون مستشاره ، وقد يكون كبير مهندسيه ، وقد ... ، وقد . ولأنها هذه أول مرة نسمع أن سيفر «أستبر» جزء من التوراة . إن التوراة هى الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام ، أما سفر «أستبر» فهو من كتب العهد العتيق التى لم ينزل أى شيء منها على موسى بل ألقت بعده تأليفها . وهذا الأحق لا يفقه هذه الأوليات ، فكيف توليه نفسه على الدخول فى تلك المأرق إلا أن يكون قد فقد عقله ؟ وثالثا فإن كاتب سفر «أستبر» فى العهد العتيق يقول إن أحشوروش كان ملكا على

إمبراطورية تمتد من الهند إلى كوش، وتكلف من مائة وسبعة وعشرين
إقليما، وعاصمتها شوش^(١)، لكن صوبتنا الجاهل يقول إن هامان
كان وزيرا في بابل^١

والآن بدأ التفيد . وأول ما نذكر كافٍ وحده لنسف هذا الهراء،
ألا وهو أن سفر «أستير» مجرد «قصة خيالية» كما يقول مفسرو
الكتاب المقدس أنفسهم^(٢) . وقد أشرت منذ عدة سنوات في كتابي
«مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى» إلى ما لاحظته على هذا
السفر من ركافة الأسلوب والطابع «الحوادثي» والتواهل الجنسية
الحيثية والتعمّل الزائد والمصادفات المتكررة والمخافة لمنطق المقل
والتاريخ^(٣) . وها هم أولاء المعلقون على الترجمة الكاثوليكية ، التي
لم تكن بمن يندى في ذلك الوقت ، يقولون الشيء ذاته تقريبا ،
فدنايحية التفاصيل وجوهر السفر أيضا تعرضهما صعوبات جمّة
على الرغم مما جاء من ملاحظات سهلة عن الأخلاق الفارسية
وتوبوغرافية صحيحة عن مدينة شوش . من الممكن أن يكون اليهود قد
تعرضوا لتعنفات من هذا النوع في أثناء الحكم الفارسي ، وقد حاك

(١) انظر الفصل الأول من سفر «أستير» / ١ - ٢ .

(٢) انظر مقدمة سفر «أستير» في الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس / ٨٧٧ .

(٣) مرجع في ذلك إلى الفصل المسمّى «هاملان» من الكتاب المذكور / ٥٥ - ٨٧ .

المؤلف حول ذكرها قصة خيالية^(١).

وحتى يكون القارئ على بينة من حقيقة هذا السفر واستحالة أن يكون وحياً إلهياً يمكن الاستناد إليه في إثبات تلك الحادثة التاريخية التي يدور عليها والتي لا يوجد دليل على وقوعها، نذكر له أنه يحكي قصة فتاة يهودية استطاعت ، بما لها من أثر طاغية ، أن تقود الملك الفارسي من أنفه وتجعله يغير سياسة بلاده مائة وثمانين درجة ليحتل اليهود فيها مكانة سامقة بعدما كانوا يسمون الخسف والهوان . وفي القصة حدث عن غضب الملك على زوجته لسبب لا يدخل العقل ، إذ كان قد طلب منها أن تتخذ أبهى زيتها وتظهر معه أمام الملوك والشعوب ليأشاهدوا جمالها وفتتها، وهو ما لا تقبله نخوة أهل الشرق، وبخاصة من الملوك . وقد رفضت الملكة هذا الطلب الغريب ، فكانت النتيجة أن طلقها ، فتأمل لها القارئ وتمجّباً ثم جمعت للملك بعد هذا كل العذارى الفاتنات من أرجاء المملكة وانتخبت منهن أجمل سبع فيهن ، وكانت كل واحدة من هؤلاء السبع نهياً بالتحفيف والأدعان والمطور سنة كاملة كي يقضى الملك معها ليلة قبل أن يقرر لهن أصلح أن تكون زوجته ... إلى آخر هذا المهر

(١) الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس / ٨٧٧ .

والديانة المعروفين من القوم . ورغم ذلك يردد رقعاء المبشرين منا أن
نصدق أنها حادثة تاريخية سجلها الروحى الإلهى ويؤمن أن يحاكموا
القرآن إليها .

وفى هذه القصة المهمة أن الذى كان يتولى كثير اضطهاد اليهود
هو هامان وزير الملك الفارسى أحشوروش . وهنا مرط الفرس ، إذ
يتساءل المحققى : كيف انتقل هامان من قصر الملك الفارسى إلى
قصر فرعون فى مصر مقدما هكذا فى التاريخ مئات السنين ؟ فانظروا
بالله إلى هذه الوقاحة التى تهدد أن تخاكم الحق إلى الباطل ! ترى أين
الدليل على أن هامان كان وزيرا أصلا لأحشوروش ؟ لقد ذكر القرآن
أن هامان كان يشترك مع فرعون فى اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر ،
وأغلب الظن أن كاتب السفر قد خلط بين وقائع اضطهاد اليهود فى
مصر ووقائع مشابهة فى فارس القديمة فذكر هامان مع أحشوروش .
لا تنس ، أيها القارئ الكريم ، ما قاله علماء القوم أنفسهم من أن
سفر «أستير» هو مجرد قصة «خيالية» لا يُطمأن إلى صحتها !

ثم إن فى الكتاب المقدس وغيره من كتب هؤلاء الناس أخطاء
قليلة فى الأسماء والتواريخ بحيث تُضحي محاولة اتخاذ معيارا فى
هذه القضية هى الهزل بعينه . لقد ذكرنا قبلا أن لحيى موسى عليه
السلام فى الكتاب المقدس ثلاثة أسماء ، كما أشرنا إلى ما جاء فيه

من أن المسيح عندما يولد سيكون اسمه «سمائيل» ، وهو ما لم يحدث ، إذ لم تسمه أمه أو غيرها من أهل الكتاب أو من أهل القرآن أو من أية طائفة أخرى بهذا الاسم . وفي العهد العتيق أيضا أن هارون أكبر من موسى بثلاثة أعوام^(١) ، على حين أنه قد أشار بكل وضوح قبل ذلك بصفحات أن موسى هو أول من وُلِدَ لأبيه^(٢) . ترى أي الروايتين نصدق ؟ وفيه أيضا أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم قبل إسحاق بأعوام ، ومع هذا نفاجأ بعد قليل بأن إسحاق هو وحيده لإبراهيم عليه السلام رغم أن إسماعيل كان حيا آنذاك وبعد ذلك بعشرات الأعوام^(٣) . ومرة أخرى تسأل . أي الكلامين نصدق ؟ وهل يمكن أن يكون هذا التناقض الفجّ وحيا سماويا ؟^(٤)

(١) مخرج ٧ / ٧ .

(٢) مخرج ١ / ٢ وما بعدها .

(٣) تكوين ١ / ١٦ وما بعدها ، و ١٥ / ١٧ وما بعدها ، و ٢ / ٢٢ .

(٤) وفي سفر «أخبار الأيام الثاني» ، طبقا للترجمة البروتستانتية ، أن يهورام كان عمره حين ارتقى سدة الملك اثنين وثلاثين عاما ، وظل يحكم ثمانية أعوام لم مات ، وهو ما يعني أنه مات عن أربعين عاما . لم يباغتنا كتاب السفر عقب ذلك بأن ابنه أخزيا ، الذي تولى الملك بعده على الفور ، كان عمره حينئذ اثنين وأربعين عاما . وليس لهذا من معنى إلا أن الولد كان أكبر من أبيه بمائتين . وذلك لا يجوز إلا في حقل مستواه أو سكران (أخبار الأيام الثاني / ٢٠ / ٢١ ، و ٢٢ / ١-٢) . أما في الترجمة الكاثوليكية فقد حدثوا بالنص الأصلي بحيث أصبح عمر الابن عند توليه الحكم ثمانية عشر عاما فقط (١) . وفي -

وحتى لو كان هامان فعلا وزيرا لأحشوروش الملك الفارسي ،
 فهل ثمة ما يمنع أن يكون هناك شخص آخر اسمه «هامان» في مصر
 قبل ذلك ؟ أم ترى هناك قانون حتمي يفرض أن يختص كل اسم
 بشخص واحد أو مكان واحد لا يخلوه ؟ إن هناك أكثر من مدينة في
 العالم اسمها « Cairo » ، وأكثر من مدينة اسمها « الإسكندرية » ،
 وهناك مكانان على الأقل كل منهما يسمى « باريس » : عاصمة
 فرنسا ، وقرية مجهولة في صحراء مصر الغربية لولا أن د. أحمد أمين
 قد ذكرها في كتابه «حياتي» لما علم بها أحد. وهناك الزعيم الروسي
 «لنين» والكتاب المسرحي المصري «النين الرملی» ، وهناك «فرعون»
 مصر المذكور في القرآن و «فرعون» آخر جاء بعده بألاف السنين هو
 جد «رشاد فرعون» أحد رجال الحاشية في عهد الملك عبد العزيز آل
 سعود ، وهناك «رمسيس» أحد ملوك مصر القديمة و «رمسيس» رسام
 الكاريكاتير المعروف في مصر ، وهناك «حورم» ملك صوم و «حورم

= سلسلة نسب المسيح عليه السلام اضطرب وخطب شنيع بين رواية الإنجيل
 للتوب إلى متى والإنجيل المنسوب إلى لوقا على ما هو معروف عند قارئ
 العهد الجديد (متى ١٦/١ - ١٧ ، ولوقا ٤١/٢ - ٤٨) . ولا أريد أن أمضي
 مع هذه المضطربات ، ولا أقصوف بطول الكلام أوملا هو الكتاب الذي
 يهتمون قراءته ، فإنا للوقلة وجمود الوجه !

العمراوى) كتاب الأعاني المصرى فى عصرنا ... إلخ ... إلخ .

وفى الكتاب المقدس نفسه تكرر ظاهرة اشتراك شخصين أو أكثر فى نفس الاسم مع ما يفصل بينهما من الأسمان الطويلة ، مثل «يهوديت» المذكورة فى سفر «التكوين» و «يهوديت» صاحبة السفر المشهور فى ذلك الكتاب ، و «أليماز» بن هارون و «أليماز» المذكور فى سفر «المكائين الثانى» ، و «إسماعيل» بن إبراهيم عليهما السلام و «إسماعيل» بن آصيل فى سفر «أخبار الأيام الأول» ، و «يوسف» النبى و «يوسف» النجار ، و «المسيح» شاول و «المسيح» همسى بن مريم ... إلخ ... إلخ ، فلماذا الإصرار إذن على أن «هامان» لا يمكن أن يكون إلا شخصاً واحداً فحسب هو وزير أحشوروش ، مع أن السفر الذى ورد فيه هذا الاسم لا يمكن أن يكون إلا من بنيات الخيال ؟

وفى التلمود نصٌ يصف هامان وقارون بأنهما أغنى رجلين فى الدنيا⁽¹⁾ ، وهذا الربط بين ذينك الشخصين له دلالة التى لا تخفى ولا يُمكن أن يكون هامان هنا هو الوزير الفارسى (إن كان لذلك الوزير وجود حقيقى) ، إذ لا علاقة بينه وبين قارون نُسِغ ذكرهما معا فى هذا السياق ، وهو يذكرنا بالربط بينهما فى سورة «القصص» . وما

(1) E.J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. III, P. 245.

يؤكد صحة ما جاء القرآن عن هامان أن هذا الاسم موجود في
البرديات المصرية^(١) بما يدل على أنه اسم مصري وبخمس العاشرين
الجهال الذين يفكرون بالستهم دون عقولهم !

ويذهب بعض الباحثين إلى أن من الممكن جدا أن تكون قصة
أستير في الأصل أسطورة بابلية أخذها اليهود وحرفوها لتوائم أغراضهم:
فهامان اسم أحد الآلهة الميلايين ، ومردكاي اسم إله كلداني ، أما
اسم أستير فليس يبعد أن يكون تحورا للإلهة عشتار ، التي يُطلق
اسمها أيضا «أستير» و«أشثار» و«عشتروت»^(٢).

لهذا كله نستغرب أن يُقلم ذلك الأحق على التهمك بالقرآن
الكريم وليس في يده من دليل إلا هذا الهراء الذي سطره مؤلف سفر
«أستير» ، زاعما أنه تاريخ وثيق لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه . على أن هناك برهانا آخر في غاية الأهمية يؤكد هذا الذي
قلناه في المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والمعهد العتيق عن هامان ،
هو أنه ما من مرة قارنا فيها بين الكتابين إلا وانضح بجلاء تام أن الحق
في صف القرآن . ولتأخذ مثلا الملاحظات التالية التي سأحصرها في

(١) انظر د. عبد الجليل شلي / رؤى مفتوحة على الإسلام / دار القلم /

الكويت / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) عروج / ١ / ١٠ - ١٠ .

قصة موسى وهارون لصلتها بهامان : فالمهد المتيق يقول إن أم موسى قد وضعت ولدها في التابوت (أو «السَّفَط» كما يسمونه) وظلت تحمله إلى أن وصلت قبالة قصر فرعون فوضعت بين الحظاء حيث عثرت عليه ابنة فرعون فأخذته . أي أن التابوت لم يوضع في الماء رغم أن كاتب سفر «الخروج» يقول إن أم موسى قد طالت السَّفَط بالزفت والحُمَر بما يدل على أنها قد أعدته لتضعه في النهر ورغم أن ابنة فرعون تقول بعد ذلك بأسطر قليلة إنها انتشلته من الماء ^(١) ، أما القرآن الكريم فقد ذكر منذ البداية أن التابوت قد وُضِعَ في الماء قولا واحدا .

كذلك فالمهد المتيق ينسب إلى موسى عليه السلام قتل المصري عن عمد وقسوة ، على حين يؤكد القرآن أنه كان قتلا خطأ لم يقصده موسى ، بل كانت نيته ردع الظالم عن بغيه على الضعيف ، وهذا هو الأتيق بأخلاق من اصطفاه الله ورَّاه على عبده كي يجعل منه رسولا ، أما ما قاله مَلْفَقُ سِفَرِ «الخروج» فهو أشبه ما يكون بطلايع عتاة المجرمين أصحاب القلوب الجاسية التي لا تعرف الرحمة ولا النعم ^(٢) .

(١) خروج ١ / ٢ - ١٠ .

(٢) خروج ١١ / ٢ - ١٧ .

والنسبة لمعجزة اليد فإن المعهد العتيق يؤكد أن يد موسى ، عند وضعه لها في عبء لم إخراجها ، كانت تستعمل «برصاء كالثلج»^(١) ، أما القرآن فيقول إنها كانت تصور «بيضاء من غير سوء» . وواضح أن القرآن الكريم ، بهذا التلخيص الأخير ، يريد أن يرد على تهمة البرص ، الذي لا يصلح بحال من الأحوال أن يتخذ معجزة لأن المعجزة إنما جعلت لجلب الناس إلى صاحبها لا لتفهمهم منه وصرفهم عنه وإشعارهم أنه مفضوب عليه من الله .

كذلك لا يمكن أن يكون رد موسى على ربه ، عندما اصطفاه وأمره بالذهاب إلى فرعون ، بهذه الغشوة والجلالة التي وردت في المعهد العتيق ، إذ يجيب ربه قائلا حسبما جاء في الترجمة البروتستانتية: «استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أقول من أمس ولا من حين كلمت عبدي ، بل أنا تقبل الفهم و«لسانه» ، و«استمع أيها السيد ... أرسل يد من ترسل» ، حتى لقد «حمي غضب الرب على موسى» كما يقول المؤلف الكلاب^(٢) . أما القرآن فيصوره عليه السلام عبدا خائفا مخفيا لربه شاعرا بالمنة الإلهية

(١) عروج ١٢٢١ .

(٢) عروج ١٠٢٤ - ١٤ . أما في الترجمة الكاثوليكية فقد عملوا على التلطيف من هذه الجلالة .

التي اختفت اختياره رسولا إلى بني إسرائيل ، وهذا هو الذي يتلاءم مع أخلاق النبيين .

وعلى خلاف القرآن الكريم ، الذي يجعل من هارون نبيا مع موسى ووزيرا وعظيما له وِدْعًا يصدقُه ، ترى مؤلف سفر «الخروج» يجعل منه «نبيا لموسى» لا «نبيا معه» ، ويجعل من موسى «إلهها لفرعون»^(١) ، ولا أظن أن هناك من يخالف في أن ما ذكره المهد المتيق هو السخف بل الكفر ، والمياذ بالله !

ويزعم سفر «الخروج» أن الله كان يكلم موسى «وجها لوجه كما يكلم المرء صاحبه»^(٢) ، وهو ما يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم من أنه عليه السلام حين طلب من ربه أن يمكثه من النظر إليه ردَّ سبحانه قائلا : «لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دَكًّا وخرَّ موسى صَعِقًا»^(٣) . وهذا هو الذي يقبله المنطق ، إذ كيف تستطيع حواسنا الكليّة المحدودة أن ترى الله الرهيب الذي لا تحته حدود ؟

(١) خروج ١ / ٧ .

(٢) خروج ١١ / ٢٣ .

(٣) الأعراف ١٤٣ .

ومن طولم المهد المتيق أيضا اتهام كاتب سفر «الخروج» لهارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع المعجل لبنى إسرائيل وبني كذلك لعبادته مذهباً حيث أخذ بنو إسرائيل ، أثناء غياب موسى للقائه به فوق الجبل ، يدورون حوله حراً كما ولدتهم أمهاتهم وهم يرقصون^(١) . وهي شئنة يهودية أصيلة في الافتراء على رسل الله الكرام والمصافي أشنع ألثمتهم بهم تلذذا بتشويه كل صورة إنسانية نبيلة . وعلى العكس من ذلك القرآن الكريم ، الذي يؤكد أن صانع المعجل هو السامري ، أما هارون فقد حاول الوقوف في وجه هذه الفتنة التي لقوت من بني قومه التعمس والتهافت ، إلا أنهم ظلوا في غيهم سادرين . وفوق ذلك غرولية سفر «الخروج» تتناقض مع نفسها تناقضاً أبلغ ، إذ تقول إن موسى قد أمر بني لاوي (وهو واحد منهم) أن يقتلوا جميع ذريتهم وأصدقاءهم وأهل محلتهم الذين اقترفوا عظمى عبادة المعجل ، وأن محصلة القتل كانت ثلاثة آلاف نفس^(٢) ، إذ يقول أبو الأعلى المودودي سؤال هام هو : لماذا لم يقتل هارون أيضا إذا كان هو صاحب عبادة المعجل ؟^(٣)

(١) خروج ١٢/١ - ١٧/٦ - ٢٠ .

(٢) خروج ٢٧/٢٦ - ٢٩ .

(1) S.A.A.Maududi, The Meaning of the Qur'an, Islamic Publication Ltd., Lahore, 1978, Vol. VII, P. 116.

ونخباءٍ منقطع النظر سببه الجهل والحقد والعدا يزعم العبد
الماضى أن فى كلام القرآن عن نهاية فرعون تناقضاً ، إذ يقول
مصحاحه فى سورة القصص ٤٠ : « فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي
الْيَمِّ » ، بينما يقول فى سورة يونس ٩١/٩٢ مخاطباً فرعون عندما
أدركه الفرق فصاح معلناً لإيمانه : « الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ؟ » فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلّفتك آية ، فيظن
الجهول أنه عز وجل قد نجّى فرعون من الموت ! منى قال القرآن
ذلك ؟ وأين ؟ واضح أنه قد فهم من قوله جل جلاله : « فالיום ننجيك
بيدك » أن فرعون لم يموت . فهل هذا هو ما تقوله العبارة ؟ إن معنى
الكلام فى الآية أن الله وعد بأن يطرح البحرُ جثته على الشاطئ
فلا تأكلها السمك والأسماك فى قاعه حتى يكون هبة لمن وراءه ، أما
لو كان المقصود هو أن الله سينقله من الفرق ويحميه إلى مصر كأن
شيء لم يكن فإنه لن يكون هبة لغيره بل فتنة ، إذ ها هو ذا يعود ،
بعد كل كفره وضلاله وشبهه وتأله ، إلى سلطانه وهولماته ككرة
أخرى !

وهذا هو الذى يقوله العهد المتيق أيضاً ، بيد أن الجهل والحقد
والعدا هو الذى صرف عيني الأبعد عنه فلم يقرأ ما جاء فيه عن لفظ

البحر أهدانَ فرعون وجنوده بعد غرقهم ، إذ قال مؤلف سفر
 «الحكمة» : «وَعَبَّرَتْ بِهِمْ (أى عبرتُ الله بيني وإسرائيل)» البحر
 الأحمر وأجازتهم للمياه النضرة . أما أعدائهم فأغرقتهم ثم قذفتهم من
 عمق الفخار على الشاطئ»^(١) . ومن قبله قال مؤلف سفر «الخروج» :
 «فَفَرَّقَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ ، وَرَجَعَتْ الْمِائِدَةُ فَفُطَّتْ مُرَاكِبُ
 وَفُرْسَانُ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الدَّاحِلِينَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ ، وَلَمْ يَبْقَ
 مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَسَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى تَبَيِّسٍ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ ، وَالْمَاءُ لَهُمْ
 سَوْرٌ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شِمَالِهِمْ . وَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ
 مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ ، وَرَأَى إِسْرَائِيلُ لِلْمِصْرِيِّينَ أَسْوَأًا عَلَى شَاطِئِ
 الْبَحْرِ»^(٢) . ترى أفهم الأبعد لم على قلوب أقبالها ؟

ومع العبد الفاضل نمضي فتناول اعتراضه حول قارون ، الذي
 ذكر القرآن أن الله أرسل إليه هو وفرعون وهامان بهيه موسى عليه
 السلام فكذبوا واستكبروا وأمروا بتقتيل الأطفال المذكور من بني
 إسرائيل ، حيث جاء في سورة «المكيات» / ٣٩ : «وقارون وفرعون
 وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض ، وما

(١) حكمة / ١٨/١٠ - ١٩ .

(٢) خروج / ٢٧/١٤ - ٢٩ .

كانوا سابقين ، كما جاء في سورة «عافر» ٢٣/ - ٢٥ : «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطانٍ مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا : ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا : اتتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحقبوا نساءهم . وما كيد الكافرين إلا في ضلال . أما اعتراض الأحيق فهذا نعه : «يتبادر إلى الذهن من هذه الآيات أن قارون وهامان مصريان من قوم فرعون وأنهما مع فرعون قاوما موسى في مصر . ولكن هذا خطأ لأن قارون إسرائيلي لا مصري ، ومن قوم موسى لا من قوم فرعون كما جاء في سورة «القصص» ٧٦ : إن قارون كان من قوم موسى فينبى عليهم» (ص ٢٩) .

هذا ما قاله النبی الترق ، وأنا أرجو القارئ أن يرجع إلى الأيتين الأوليين ويحفر فيهما النظر ثم يجيب على السؤال التالي : هل ذكر القرآن فيهما أو أوحى مجرد إيهاء أن قارون مصري حتى يقال إنه قد تناقض مع نفسه حين ذكر في آية «القصص» أنه من قوم موسى ؟ إن كثيرا من الناس ينشقون على أبناء طائفتهم وينصمون إلى أعدائهم ويكونون في خدمتهم ، وبخاصة حين تكون مصالحهم مع هؤلاء الأعداء^(١) . وقد كان قارون فاحش الثراء ، وأغلب الظن أن هذا الثراء

(١) مثلما فعل خيرة الرافق منذ شهيد ١

سببه انجازه إلى فرعون وملكه وفغانيه في خدمتهم وتعارنه معهم . فما
المشكلة في ذلك ؟ المشكلة في الواقع هي في عقل هذا الأحمق لا
في النصوص القرآنية البرهنة التي يقولها النبي ما ليس فيها .



وبما له صلة بموضوعنا واعترض به الطائش على الوحي الإلهي
قوله إن القرآن قد ذكر أن الذي صنع المعجل لبني إسرائيل في التيه هو
السامري ، على حين أن هارون هو الذي عمل هذا المعجل بناءً على
طلب قومه ، أما السامري فكيف يمكن أن يصنعه قبل أن يكون
للسامريين وجود ؟ (ص ٣٠) . يقصد أن «السامري» نسبة إلى
السامرة ، التي لم تكن إلا بعد ذلك بزمان طويل .

لكن من قال إن «السامري» لا يمكن أن يكون إلا من أهل
السامرة ؟ هل هناك أولاً ما يقطع بأن «الهاء» في هذا الاسم هي
للنسب ؟ ألا يمكن أن تكون في لغتها كالهاء عندنا في «كرسي»
و«زينة» و«برقي» مثلاً ؟ ثم إن هذا الاسم قد يكون تحريفاً لكلمة
«شومر» المبرية بمعنى «حارس أو خفير أو سمور»^(١) . أما إذا كانت

(1) Abdullah Yusuf Ali, The Holy Qur'an, Dar Al-Arabia, Bei-
rut, P. 807, N. 2650.

الياء للسب فقد تكون النسبة إلى « سامر » صاحب الجبل الذي أقامت عليه مدينة « السامرة » فيما بعد^(١) ، أو إلى « شومر » (بالإمالة) ، وهو اسم مصري بمعنى « غريب » لا يزال حتى الآن منتشرا في مصر بعد تعريبه ، أو إلى أى مكان آخر في أرض الكنانة أو غيرها ، إذ قد تعدد الأمكنة والأشخاص ، والاسم واحد ، وذلك مثل جبل الكرمل ، الذى كان اسما لجبلين مختلفين على حسب ما يقوله شراح العهد العتيق أنفسهم: أحدهما على البحر المتوسط ، والآخر فى أرض يهوذا^(٢) . أم إنه حلال لهم وحرام علينا؟ ويرى عبد الله يوسف على أن من المحتمل أن تكون طائفة « السامريين » هى المنسوبة إلى « السامرى » لا العكس^(٣) .

(١) أخبار الملوك الثالث / ٢٣/١٦ - ٢٤ .

(٢) انظر حواشى العهد العتيق على الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس ١٣/ وهناك مثال مفصّل آخر هو لقب « الناصرى » ، الذى يمكن لأى دعى جهول أن يترض على تلقيب السيد المسيح به بحجة أن « الناصريين » لم يظهروا إلا فى العصر الحديث بعد أن أصبح جمال عبد الناصر حاكما لمصر وصارت له طريفة تسمى « الناصرية » وأباح يسمّون « الناصريين » . لكن مثل ذلك الدعى الجهول قد فقه أن فى فلسطين مدينة قديمة تسمى « الناصرية » ينسب إليها للمسيح عليه السلام .

(3) Abdullah Yusuf Ali , The Holy Qur'an, P. 808, N. 2608

وإن تعجب فمعجب أن يأتى هذا الببناء الجرداء فى نفسه فيها جم القرآن فوجا لا مجال فيه للطعن ويضمى من المشكلة التى تثيرها «أرض عوص» الولد ذكرها فى مطلع سفر «أيوب» بوصفها البلد الذى كان يسكنه ذلك الرجل . لقد وقف المفسرون الكتائبون حيارى لا يستطيعون تحديد «عوص» هذا، إذ «ورد فى سلسلة المتقدمين ثلاثة يحملون هذا الاسم : أحدهم عوص بن أرم ، والثانى عوص بن ناحور ، والثالث عوص بن ديثان ، فلا يُعلم أيهم المراد بنسبة هذه الأرض إليه ، بل إن موضع هذه الأرض غير معروف على وجه الدقة^(١) . كما أن اسم «سمعان القهروانى» المعاصر للسيد المسيح فى فلسطين يثير مشكلة أعقد من هذه كثيرا ، إذ أن سمعان هذا من «القهروان» المنسوب إليها ، وهى من بلاد تونس البعيدة التى تفصلها عن فلسطين أماد شاسعة ، ولم تُبنَ إلا بعد ذلك بقرون على يد عقبة بن نافع سنة ٧٦٢م^(٢) ؟

وقبل ذلك كله كيف يمكن أن يتهم عاقل هارون عليه السلام بأنه هو صانع العجل ، وهو نبي كريم أرسله الله للدعوة إلى الوحدة؟

(١) انظر حواشى العهد العتيق للمخفة بالترجمة الكاثوليكية / ١٥ .

(٢) انظر مادة «القهروان» مثلا فى الموسوعة القبطية / دار المعرفة / ١٩٧٢م ، وموسوعة اللورد القديسة شير المليكى / دار العلم للملايين / ١٩٦٠م .

إن ذلك الاتهام ليس له من معنى سوى أنه سبحانه لم يحسن الاختيار ،
 إذ انتقى شخصا لتأدية مهمة ما ، فإذا به يوسب في أول امتحان ، ثم
 هو مع ذلك يظل متمسكا به بل يأمر بقتل كل من اشترك في عبادة
 العجل ويعني الرأس الأكبر الذي تولّى كثير الجريمة فصنع العجل وبني
 له المذبح وأشرف على عملية الطواف والرقص العارى حوله في صعب
 وعُهِر ! ولكن متى كان للقوم عقول يفكرون بها لو حتى آذان
 يسمعون بها ؟ (١)

ومضيا مع تطعمه يقتل العبد الفاضل مشكلة من لامشكلة ، إذ
 يقول : « جاء في سورة القصص ٧٦ ، ٨١ : « إن قارون كان من
 قوم موسى فمضى عليهم ... فصفنا به ولما رآه الأرض ، فما كان له من
 فعة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » ، ومعروف أن
 قارون القرآن هو كروموس ملك ليليا (٥٦٠ - ٥٤٦ ق. م .) ، وهو
 علّم على اليمنى بين العرب وغيرهم . ولا يوجد ما يورث خطئه بقورح
 الذي ورد ذكره في التوراة ، فلا علاقة لقارون بقورح الذي تار مع

(١) يمكن للقارئ أن يجد مطالعة مستفيضة لهذه القضية في كتابي «سورة
 طه - دراسة لغوية أسلوبية مقارنة / دار النهضة العربية / ١٤١٦هـ -
 ١٩٩٥م / ٤٠ - ٤٩ .

داثان وأهرام على موسى فتفتحت الأرض فاها وابتلعنهم (العهد / ١٦) ؛
(ص ٤٧) .

وكنّا لهذه الفضلات الفكرية نطرح السؤال التالي : من قال لهذا
المتطوع إن القرآن يحدثه عن قارون هنا إنما يقصد كروسوس ملك
ليديا ؟ هل أطلعه الله على مراده وصريح له بأنه ، وإن قال في الآية
للكريهة إنه كان من قوم موسى ، فهو لا يقصد ذلك فعلا بل هدفه
تضليل أتباع محمد ، أما الصواب فهو أنه الملك كروسوس ؟ لقد عبث
القوم بكتبهم وألقوا كلاما سخيفا وعزّوه إلى الله ، والآن يحسبون
بجهلهم أنهم يستطيعون أن يلعبوا نفس اللعبة القليرة مع القرآن الكريم !
لقد قال الله تعالى : «إِن قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» ، ثم ذكر بفهمه
على قومه وكيف انتهى أمره بأن خَسَفَ الله به وبداره الأرض وجعله
عبرة لمن يحتر . وهذه القصة موجودة في العهد العتيق ، وإن لم ينسب
مؤلفها تمرد قارون إلى كثرة كنوزه بل إلى رغبته في مشاركة هارون
الكهانة . والمعروف أن كتب القوم قد ضاعت بعد موسى بأجيال
وكتبها لهم عزرا من الذاكرة ، أما القرآن فكان يسجل غضبا فور نزوله ،
ولم يضع منه شيء البتة . وقد رأينا فيما مضى من صفحات أمثلة كافية
لأخطاء العهد العتيق وتناقضاته ، وما من مرة قامت فيها مقارنة بينه
وبين القرآن فيما يوجد فيه دليل قاطع إلا وكان الفلج للقرآن ، فلماذا

يأبى الأحق بعد ذلك كله إذن ويقول ما قال ؟ أهو مجرد عناد والسلام ؟ وإذا كان القرآن يقصد كروسوس ملك ليديا ، فما الذى منعه من أن يقول ذلك يا ترى ؟



ومن اعتراضات جاهلنا ألبما اعتراضه على ما جاء فى سورة
 «ص» / ٥٥ من قول الحق تبارك وتعالى لأيوب عليه السلام : «وَعِذْ
 يَدَكَ ضَرْبًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ» ، إذ يعلق القيسى قائلا : «قال
 البيضاوى : الضَّفْتُ : الحرمة الصغيرة من الحشيش ونحوه . فاضرب
 به ولا تخنث : روى أن زوجة أيوب لها بنت يعقوب (وقيل : رحمة
 بنت أهرام بن يوسف) ذهبت لحاجة فأبطأت ، فحلف إن يرى
 يضربها مائة ضربة ، فحلل الله يمينه بذلك . وهى رخصة باقية فى
 الحدود» . ونحن نسأل : كيف يصح لأيوب البار الصبور على ضياع
 أولاده وعبيده ومواشيه أن يقضب على زوجته ، وهو المشهود له فى
 الثروة باللطف والحلم ، وخاصة مع زوجته ، إذ قال لها : تتكلمين
 كلاما كإحدى الجاهلات ! أألهى نقيلا من الله ، وأشر لا تقبل ؟
 (أيوب ١٠/٢١) ؟ وكيف يصح لأيوب أن يتوعد زوجته بالضرب
 مائة ضربة لمجرد إبطائها ؟ وكيف يحلف ليضربها مائة سوط فيتصحه

الله أن يأخذ حزمة فيها مائة عود يضربها بها ضربة واحدة فلا تقع
بمينه ؟ وأين أيوب من يعقوب حتى يتزوج ابنته أو من يوسف حتى
يتزوج حبيبته ؟ والمعروف أن أيوب سابق ليعقوب ويوسف تاريخيا
وهذه القصة موجودة في خرافات اليهود القدماء (ص ٥٦) .

ونبدأ بخاتمة ما قال ، ومفهوم الجملة الأخيرة من كلامه أن ما
جاء في العهد المتيق من أيوب هو الحق الذي لا مرية فيه ، على
عكس خرافات اليهود القدماء عن حلفه ليعزيرين ... إلخ . ولكن ماذا
قال عنه العهد المتيق ؟ في مطلع الفصل الثاني والأربعين مثلا من
«سفر أيوب» مجده يقول إنه كان «قد سمع الله من قبل بأذنه» فلم
يقتنع بما قاله له ، أما الآن وبعد أن «رأته عيناه» فإنه يرجع عما قاله من
تجديفات في حقه سبحانه ويندم ندما شديدا . وإنا لنسأل : أيمكن أن
يرى أى شخص الله سبحانه ؟ يجيب العهد المتيق على هذا السؤال
بأن موسى حين طلب من ربه فوق الجبل أن يراه مجده كان ربه
سبحانه وتعالى : «أنا وجهي فلا تستطيع أن تراه لأنه لا يراني إنسان
وحش» ، وإن كان ملفقو ذلك الكتاب قد أضافوا بيلاهة لا تخلو من
الفكاهة أن الله قد استمر قائلا : «هوذا عندي موضع . قف علم
الصخرة ، ويكون إذا مررتُ مجدي لني أجعلك في نقرة الصخرة وأظا

يهدى حتى أجتاز ، ثم أرى يدي فتتظر قفاي ، أما وجهي فلا ترى^(١) . وهي حيلة ظريفة للالتفاف حول القانون الإلهي الذي يستحيل بناءً عليه رؤية الله ، إذ ما علينا عندما نعلم باقترب مرور الله من أمامنا إلا أن نضع أيدينا على عيوننا أو ننظر إلى الجهة المقابلة ، حتى إذا ما تبعنا من مروره سارعنا فأبصرنا قفاه ! لكن فات الأمل مؤلف هذه القصة أن يصف قفاه سبحانه ! وعلى أية حال فإن المهد القديم كمعادنه يناقض نفسه في هذه القضية ، إذ يقول في موضع آخر إن موسى « كان يكلمه الرب وجها لوجه كما يكلم للمرء صاحبه »^(٢) . وهذا طبعاً هو الكلام غير الخرافي !

أما ما قاله البيضاوي أو غيره من نسب زوجة أيوب فهو كلام من الكلام إن أصاب فيها وبعمت ، وإلا فالخطأ خطأ هو ، ولا مدخل للقرآن في ذلك ، ومن ثم لست أفهم كيف يحمل جاهلنا القرآن الكريم ما قاله البيضاوي رحمة الله عليه . كذلك لم يقل لنا القرآن شيئاً من تفصيلات الضعف الذي أمر الله أيوب أن يأخذه ويضرب به حتى لا يحدث ، وعلى ذلك فلا داعي لإثارة زوينة حول هذه النقطة دون داع . وحتى لو افترضنا أن المقصود هو ضرب زوجته بهذا

(١) خروج ١٨/٣٣ - ٢٢

(٢) خروج ١١/٢٣ .

الضغث ، فما وجه العيب في الحل الذي قدّمه الله له ؟ لقد حلف الرجل أن يضرب زوجته ، فدلّه الله على طريقة ينقذ بها قسمه دون أن يؤلم شريكه حمرة ، فما الخطأ في هذا ؟ ثم إن هذا الجزء من قصة أيوب غير موجود في العهد المتيق ، فلم يَسارع ذلك الجاهل بتكذيبه ، وبخاصة أنه غير موجود أيضا في القرآن الكريم ؟ إن هذا كله هراء في غير معترك !

وكان الجاهل قد أورد كلام أيوب لزوجته طبقا لرواية العهد المتيق بوصفه دليلا على بر أيوب وصبره أمام بلواه ، وكذلك على لطفه وحلمه مع زوجته ، مع أن بقية ذلك الكلام نفسه تنبع عن حدة وحذف في معاملته لها حيث يصف كلامها بأنه ككلام إحدى الجاهلات^(١) . ثم إن ما قالته هذه الزوجة لزوجها ليستحق ما هو أنفس من الحلف بضربها مائة ضربة ، إذ استغربت صبره وثماسكه أمام ميحه وحاولت إغرائه بالتجديف على الله حتى يموت ويشرح . وهذا نص ما قالت : «إلى الآن أنت معتصم بسلامتك ؟ جُدْف على الله ومُتة»^(٢) .

ولقد جُدْف أيوب (أيوب العهد القديم لا أيوب النبي الكريم الذي نؤمن به نحن المسلمين) ، وتمرد على ربه ، ولعن اليوم الذي وُلِد

(١) في الترجمة الكاثوليكية : «ككلام إحدى السفهات»

(٢) سفر أيوب ١ / ٩٧ .

فيه ، وسَخر من القضاء الإلهي الذي يمسب الشقاء على الأبرار ويخمر
 الفجرة بالوأن النعم والسعادة ، وتمنى لو كان هناك قاضي يحتكم هو
 والله إليه حتى يجين لله ظلمه وخطؤه ، وأخذ نوح نواحاً متصلاً ،
 وكلما حاول أحد أصدقائه تهدئته ولفت نظره إلى تجاوزاته مع الله
 ازداد سخطاً وتمرداً ، وذلك على مدى عشرات الصفحات ، مع بعض
 الفتيات القليلة إلى الرضا أثناء ذلك . أَمَنَ بمرد وجند على ربه
 على هذا النحو ، أَسْتَبَعْدُ أَنْ يَحْلِفَ لِيَضْرِبَنَ لِمَرْأَةٍ لَا بَطَالَتِهَا عَلَيْهِ ؟ لا
 نسي أنه لا العهد العتيق ولا القرآن الكريم قد تعرض لهذه التعميلة ،
 ولكنني أردت أن أبين للقارئ مخف المنطق الذي سَوَّلَ لجاهلنا
 المسارعة إلى الاعتراض على البيضاوي .

وأخيراً وليس آخراً فإن الجاهل يحتاج البيضاوي بأن «أيوب سابق
 لمعقوب ويوسف تاريخياً» ، كما أن مؤلف سفر «أيوب» يذكر أنه كان
 يسكن في أرض عوص ، التي تقول حواشي العهد العتيق الملحقة به
 في الترجمة الكاثوليكية إنها كانت مجاورة لأرض يهوذا ، أي أنها
 كانت جزءاً من أرض فلسطين . والآن في ضوء كلام جاهلنا وما جاء
 في حواشي العهد العتيق تتساءل : كيف يقول كاتب سفر «أيوب» إذن
 إن أهل سبأ قد هجموا على بهائم أيوب وقتلوا عبيده واستاقوا الإبل

أمامهم^(١١)؟ أين أهل سبأ من فلسطين ، وبالتالي في ذلك الزمن
 الموعول في القدم حين كانت وسائل للواصلات بدائية وشديدة
 البطء ؟ لقد كانت سبأ في بلاد اليمن ، وبينها وبين فلسطين
 مسافات صحراوية رهبة ، فكيف يأتي الرعاة منها ليهجموا على مواشى
 أيوب في تلك الأزمان السحيقة التي كانت وسيلة السفر فيه هي
 الأقدام أو ظهور الجمال على أحسن تقدير ؟ وهذا لو كانت سبأ
 موجودة في ذلك الوقت ، بيد أن مملكة سبأ لم تظهر إلى الوجود إلا في
 القرن الثامن قبل الميلاد ، على حين أن يعقوب ، الذي يؤكد الأحمق
 الماتني أنه متأخر في الزمن عن أيوب ، كان يعيش في القرن الثامن
 عشر قبل الميلاد، أي أنه كان يلقاها على سبأ ، لكن يكون لها مكان
 على خريطة الوجود ، عشرة قرون أو تزيد^(١٢) ! فتأمل واحجبْ أيتها
 القارئ !

وبالنسبة لمريم عليها السلام يقول المنتطع الذي يصر بنهاه هجيب
 على أن يسمى بقلعه إلى هلاكه إن الآية ١٢ من «التحریم» قد
 ذكرت أن مريم هي ابنة عمران ، فكيف يصح ذلك ، والإنجيل يقول

(١) أيوب ١٤/١٦ - ١٥ .

(٢) انظر محمد فريد وجدي / قلعة معارف القرن العشرين / طر القنكر / بيروت /

ماتني سبأ و الهراهمه ، ومنير الطبطبكي / موسوعة المورد العربية / مواد

سبأ و الهراهمه و يعقوبه و يوسف .

إنها بنت هالي (لوقا ٢٣/٣) أم كيف يقول القرآن إنها بنت عمران
أبي موسى وإنها أخت هارون مع أن بنتها وبني عمران وهارون ألفا
وسمائة سنة؟ (ص ٣٠) .

والواقع أن هذا الكلام لا يمكن له إلا المرحاض ، وإليك البيان : أولاً
«الإنجيل» هو ما نزل على عيسى عليه السلام من وحى سماوى فبلغه
قومه لا هذه السير التي كتبها بعض المنتسبين إلى النصرانية بعد عشرات
السنين والتي يحوط الشك عند علمائهم أنفسهم شخصية مؤلفيها .
فحججاج ذلك السفه لنا إذن بأن الإنجيل قد قال كنا في هذه
المسألة حجاج باطل لأننا لا نؤمن باللاهية مصدر ما يسمى بالإنجيل
مرفس أو لوقا ... إلخ ، لأن هذا الكلام إن كان هو يراه ملزماً فإنه لا
إلزام لنا فيه .

وهذا كله لو كان في إنجيل لوقا أو غيره فعلاً أن مريم هي بنت
هالي ، وهو ما لا وجود له ، أما المذكور في ذلك الإنجيل فهو سلسلة
نسب المسيح ، وفيها أنه (على ما يظن أبناء قومه) ابن يوسف بن
عالى ... إلى آدم بن الله . ولا ذكر فيها البتة لمريم . فعلام يدل هذا ؟
يدل على واحدة من ثلاث : أن الأهد جاهل أو كذاب أو أحمق
مجنون ! وليختر لنفسه الصفة التي يحب ، فلن نقف حائلين بينه

وهين ما يختار ومع ذلك فعند النصارى رواية تقول إن مريم هي ابنة يواقيم ، إلا أن هذه الرواية ليست محل نقشتهم^(١) . ومرة أخرى نتساءل : علام يدل هذا ؟ ألا يدل على أن أسورهم كلها معجونة بماء الاضطراب والشك ؟ فكيف بالله يجد مثل هذا الأحمق في نفسه البجاجة على تخطئة القرآن الكريم الذى لا يمكن أن يطوله الخطأ ؟

وفضلاً عن ذلك فإن القرآن لم يقل إن مريم هي بنت عمران أبى موسى لوإنها أخت هارون أخى موسى ، بل كل ما جاء فيه أنها مريم ابنة عمران فقط ، وأن قومها حينما جاءتهم حاملَةٌ وليدًا ، ولم تكن قد تزوجت ، قالوا لها : «يا أخت هارون ، ما كان أبوك أمراً سوياً ، وما كانت أمك بنياً»^(٢) ، أى أنها في القرآن هي أخت هارون ليس إلا ،

(1) Elizabeth Gidley Withy Combe, The Oxford Dictionary of English Christian Names, Oxford, 1948, Art. "Joachim", P.78.

(٢) ولهذا السبب أقدم جاك بيرك في ترجمة القرآن على تغيير اسم مريم ابنة عمران إلى مريم بنت يواقيم . وقد ثبتت سبلت صحتها هنا فى كتابى «ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم بين الملاحين والقادحين» (مكتبة زهراء الشرق / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م / ٧٤ - ٧٥) . وبالتناسب فيوسف النجار ، الذى ذكر لوقا أنه ابن حالى ، هو (حسب إجمال معنى) ابن يعقوب ، وسبخت ميثت الخلل واللعن ! (انظر معنى / ١ / ١٦ ، ولوقا / ٣ / ٢٣ / ٢٨) .

والذى سماها كذلك ليس هو الذين بل قومها . فانظر بالله عليك إلى
هذا المدلس المفضوح الذى يتقول على القرآن الأكاذيب !

ثم إن القرآن مصدق فيما يقول ، وما دام قد قال إن مريم هى ابنة
عمران فلا بد أن تكون ابنة عمران فعلا ، وبخاصة أنه ليس عند
النصارى فى هذا الصدد سوى رواية تفتقر إلى الثقة كما ذكرنا . وقد
تكون تسميتها «ابنة عمران» هى تسمية مجازية كما سُمى يوسف
النجار (الذى يقولون إنه كان خطيبها) بـ «يوسف بن داود» على لسان
الله ذاته طبقا لإنجيل متى ، مع أن بين يوسف هذا وداود عليه السلام
نحو ثلاثين جيلا حسبما جاء فى ذلك الإنجيل نفسه ^(١) ، وكما سُمى
الأحمى (فى إنجيل لوقا) المسيح عليه السلام بـ «يسوع بن داود»
مرتين ^(٢) . وفى هذا الإنجيل أيضا نسمع عنها معاصرا للمسيح يتادى
إبراهيم من الجحيم بـ «يا أبنتى» ، ويرد عليه إبراهيم قائلا: «يا ابنى» ^(٣) .
وبالمثل يسمّى المسيح ذاته المرأة المنحبة الظاهر «ابنة إبراهيم» ^(٤) . أما

(١) متى / ١ / ١٦ - ٢٠ .

(٢) لوقا / ١٨ / ٢٨ - ٣٩ .

(٣) لوقا / ١٦ / ١٦ - ٢٥ .

(٤) لوقا / ١٣ / ١٦ .

البنوة لله فما أسهلها وما أرخصها في الكتاب المقدس : فإسرائيل ابنه
 البكر^(١) ، وداود أيضا ابنه البكر^(٢) ، وإفرائيم هو كذلك ابنه البكر^(٣) !
 وقد رأينا ما جاء في سلسلة نسب المسيح من أن آدم هو ابن الله ، ولن
 ننسى بطبيعة الحال ما يقوله النصارى عن عيسى وبنوته هو أيضا لله .
 وهناك ، فوق هذا كله ، « أبناء الله » التي أُطْلِقَتْ على ما لا أدرى
 كم من الجماعات المختلفة ! فإياها الأحق ، ما دامت ذمتكم واسعة
 بهذا الشكل ، فلماذا تضيقون بتسمية مريم بـ « ابنة عمران » حتى لو
 كانت هذه تسمية مجازية ؟ وفي هذه الحال سيكون القرآن مجرد
 حاك لما كانوا يتادونها به حسب تقاليدهم في نسبة الشخص إلى جد له
 بعيد مشهور . بعضاً من حمرة الخجل يا عقل المصغور ! أما القول بأن
 فلانا أو علانا أو ثرثانا ابن لله فإن المسلمين لا يقدمون على مثل هذه
 الشبهة ، إذ هم يعرفون مقام الألوهية وما يجب لها من الإجلال
 والتوحيد !



(١) مزمور ٨٩ / ٢٦ - ٣٢ .

(٢) مزملر / ٨٩ / ٢٦ - ٢٧ .

(٣) لرميا / ٣١ / ٩ .

وأخذ العهد القاضى على القرآن ما يسميه «خلط الأسماء» حيث
 نقول الآيات ٨٤ - ٨٦ من سورة «الأَنْعَام» عن إبراهيم عليه السلام :
 «ورهبنا له إسحاق ويعقوب كَلَّا هَتَيْنَا ، ونوحا هَتَيْنَا من قبل ، ومن
 ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي
 المحسنين * وذكرنا يحيى وعيسى وإيلس ، كلٌ من الصالحين *
 وإسماعيلَ وإِسْحَاقَ ويونسَ ولوطا ، وكلًّا فضَّلْنَا على العالمين» . ووجه
 اعتراض المبغرى الذى لم تلده ولادة فى السُّحُف وضلال العقل أن
 ترتيب الأنبياء هنا لا يجرى على ترتيبهم التاريخى (ص ٣٦ - ٣٧) .

وهذا اعتراض لا معنى له أبداً ، فالقرآن لم يقل إن هذا هو ترتيبهم
 التاريخى ، ولم يستعمل فى العطف بين أسمائهم إلا «والو» ، وهى
 حرف لمطلق الجمع ، أى لا تفيد ترتيباً ، بخلاف «ثم» و«الفاء» .
 فهذان سببان كافيان لإغراس المتنوع ، ومع هذا فإننا نسوق أيضاً
 المعلومة التالية التى لو كان عندنا قوة من حساسية لانشقت الأرض
 بعدها وابتلعته كما ابتلعت فارون . يا أيها المتنوع ، قبل أن تقذف
 بيسوت الناس بالحجارة انظر إلى زجاج بيتك وخف عليه أن يفكر
 الآخرون فى قرءة على حمارتك الطائشة التى لا تفهمك شيئا بحجر
 واحد يحطمه لك عظمها ! وبيتك الزجاجى الذى أقصده هو أسفار
 الأنبياء فى العهد العتيق التى لا تخضع لأى ترتيب تاريخى رغم أن ذلك

الكتاب قائم على ترتيب الأحداث التي وقعت لبي إسرائيل ترسيا تاريخيا ، إذ وردت تلك الأسفار فيه على النحو التالي : أشعيا ثم إرميا ثم ياروك ثم حزقيال ثم دانيال ثم هوشع ثم يوشيا ثم عاموس ثم هوديا ثم يونان ثم ميخا ثم ناحوم ثم حبقوق ثم صفنيا ثم هجاي ثم زكريا ثم ملاخي ، على حين أن الترتيب التاريخي هو عاموس ، هوشع ، أشعيا ، ميخا ، صفنيا ، ناحوم ، حبقوق ، إرميا ، حزقيال ، هجاي ، هوديا ، زكريا ، يوشيا ، دانيال ، وهذا ليس كلامنا نحن بل كلام علماءكم^(١) .

ويستمر عقل المصنف في هجومه المصياني الأخرق على القرآن الكريم فمتهمه بأنه مأخوذ من أقوال الحنفاء وأشعار امرئ القيس وقصص سلمان الفارسي وكتب جهلة اليهود والنصارى (ص ١٨٥) . ولو كان عنده هو والذين لزوه على هلاكه مسكة من عقل ما فتح هذا الباب الذي إنما يفتح به على نفسه أبواب الجحيم . ترى لو أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذ كلام الحنفاء وجعله قرآنا ، فلم سكت منهم من ظلوا أحياء إلى ما بعد بعثته كورقة بن نوفل ، الذي سارع إلى الإيمان به وأعلن أنه لو استد به الأجل إلى اليوم لذي يقدم القرشيون فيه على إيفائه وإخراجهم من مكة فليسوف يقف إلى جانبه

(١) انظر الكلمة التمهيدية التي قدم بها تراجم الكتاب المقدس لأسفار الأنبياء في الترجمة الكاثوليكية / ٣٣٧ .

وينصروه نصرا مؤزرا ، وكأمية بن أبي الصلت ، الذى كتب عارما على الدخول فى دعوته والانضواء تحت رايته لولا أن وقعت غزوة بدر ، وسقط بعض أقاتره قتلى بسيف المسلمين ؟ ترى لم سكتوا فلم يقولوا: إن محمدا إنما تعلم منا واستوحى قرآنه من كلامنا ؟ ولم سكت كذلك أولاد من مات منهم قبل البعثة وأقاربهم كما هو الأمر فى حالة زيد بن عمرو بن نفيل ، الذى كان ابنه سعيد من أوائل من لبوا دعوة الرسول ثم تبعه ابن عمه وصهره عمر بن الخطاب ؟

ولقد توفرت لأمية كل الدواعى لعصع محمد لو كان الرسول عليه السلام قد استمد قرآنه منه ومن أمثاله ، فقد رأى هلكتي قرش فى غزوة بدر بقصيدة حالمة بلغت الغاية فى التضييع عليهم والتحريض على الإسلام والمسلمين . وهذه القصيدة موجودة فى ديوانه وفى كتب السيرة والتاريخ والأدب ، ومع ذلك نقرأها من أولها إلى آخرها فلا نجد فيها كلمة واحدة تتهم محمدا بشيء . كذلك كان هناك أبو عامر الراهب ، الذى كان الغل يلتهم قلبه والذى كان يتصل بالبيزنطيين فى الشام يستعين بهم على حربه صلى الله عليه وسلم وكان له بين سكان المدينة هيون وأحصار ، ومع ذلك كله لم يحدث أن فتح فمه بكلمة تتهمه عليه السلام بالأخذ من الحنفاء حتى ولا لابنه حنظلة ، الذى تمرد عليه وانحاز إلى الرسول عليه الصلاة والسلام

واستشهد في معركة أحد حيث بلغ جرحهض إليه وقامره على النبي
والمسلمين المدى الأبعد .

ويزعم الأحقق الكتاب أن القرآن في قوله تعالى في الآية ١٠٣
من «النحل» : «ولقد علم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر . لسان الذي
يلحدون إليه أجمي» ، وهذا لسان عربي مبين» قد شهد أن المقصود
بالذي ألقى القصص الفارسية على محمد هو سلمان الفارسي (ص
١٩١) . لكن الآية ، كما هو جلي لكل من لم تعمَّ عيناه وبصيرته
كصاحبنا الغني الذي طمس الله على فؤاده ومدَّ على بصره حشاوة ،
ليس فيها أية إشارة إلى سلمان أو أي قصص فارسي . هذه واحدة ، أما
الثانية فإن الآية مكبة ، وسلمان لم يظهر في الأفق الإسلامي إلا في
المدينة بعد الهجرة بفترة ، فكيف يمكن أن تتكلم الآية الكريمة عن
شخص لم يكن له حتى ذلك الحين ولا إلى ما بعد ذلك بأعوام وجود
في حياة النبي عليه السلام ؟ أراي القارئ كيف فقد أعداء الإسلام
العقل والحياء على هذا النحو الشائن الغزوي ؟ ونأني إلى الثالثة ، والثالثة
ثابتة كما يقولون : فالمعروف أن سلمان هو الذي سعى إلى النبي صلى
الله عليه وسلم في رحلة طويلة مرهقة طوّف فيها بعدد من بلدان
الشرق الأوسط حتى وصل إلى يثرب حيث بيع ، وهو الشريف
الفارسي ، بيع العبيد ، وانتهى أمره بالدخول في الإسلام وملازمة النبي

عليه السلام والمثابرة على خدمته وخطمة دعوته بكل سهيل . وكانت قصص الأنبياء والأمم السابقة وآدم وإبليس وغير ذلك قد أصبحت تملأ القرآن، فلم تعد هناك حاجة إلى ما في جمجمة سلمان، أو كما قال أحدهم ذات مرة في سخافة حقيرة : «إلى الكنز المعروف الثمين» الذي كان في حوزة سلمان والذي يذهب ذلك الأفاك ما أذهب أتناكنا الحالي أن الرسول عليه السلام كان يستمد منه .

أما الشعر الذي أفكّ هذا الكلاب بأن القرآن قد أخذ منه بعض العبارات فهو الأبيات التالية التي تنسب لامرئ القيس :

دنت الساعة ، وانشق القمر	عن غزال صداد قلبي ونقر
مر يوم المجد بي في زينة	فرماني فتعاطي فمقر
يسهام من لحاظ فائك	فر عني كهشيم المختظر
وإذا ما غاب عني ساعة	كالت ساعة أدهى وأمر
كتب الحسن علي وجهه	بحق للمك مطرا مختصر
عادة الأعمار تسرى في الدجى	فرأيت الليل يسرى بالقمر
بالضحى والليل من ملته	فرقه ذا النور: كم ضىء زهر
قلت إذ شق المنار خلفه :	دنت الساعة ، وانشق القمر

(١٨٥-١٨٦) . والمباراة التي زعم الكذاب أن القرآن قد أخذها من هذا الشعر هي المباراة التي تحتها خط . والله إني لأستعجب من كل هذا الغباء الذي سؤل للأحمق أن يقول هذا الذي قاله . نعماً لك يا عبد الفاضل وليوم ولدتك فيه أمك ! إنما ولدتك للشقاء ، فما وملك ثم يا وملك ! بعداً شعر يقوله امرؤ القيس ؟ إن الأبعد لا يشم ، لأنه لو كان يشم وعلق فمه المتن فلم يمس بينت شفة في هذا الموضوع . إن الركازة نزل الآيات من بدايتها إلى خاتمتها ، ولم يكن الشعر الجاهلي يومئذ (فضلاً عن أن يكون هذا الشعر لامرئ القيس) ركيزة بهذا الشكر المزرى . ثم إن القصيدة تنزل في غلام ، ومتى كان الجاهليون يتمثلون في الفلمان ؟ إن هذه الظاهرة لم تنشأ إلا في العصر العباسي يا أيها الغبي الأبله !

ثم هل يمكن أن يقول أي شاعر جاهلي : « دنت الساعة ، وانشق القمر » ؟ والجواب : « كلا » بالثلاث ، فالجاهليون لم يكونوا يستخدمون كلمة « الساعة » للدلالة على يوم القيامة . بل إن يوم القيامة لم يكن جزءاً من عقائدهم ، اللهم إلا نقرأ ضيقاً منهم هم الحنفاء ، الذين كانوا مع ذلك لا يؤمنون أكثر من مجرد إيمان عام بأن هناك عالماً آخر ، أما دنو هذا اليوم فلم يكن يجري لهم في بال . ثم أين امرؤ القيس رغم ذلك كله من الحنفاء ؟ كذلك ففكرة « انشقاق القمر » هي من

الأفكار التي يستحيل تطويرها في عقل أى شاعر جاهلى سواء كان المراد أن القمر قد انشقق فعلا كما نقول بعض الروايات الخاصة بأسباب نزول الآية الأولى من سورة «القمر» لو كان المراد مجرد الإشارة إلى أن القمر سينشقق مستقبلا مع قيام الساعة على عادة القرآن في استعمال الفعل الماضي في كثير من الأحيان للدلالة على أحداث القيامة والعالم الآخر. ذلك أنه على المعنى الأول يكون «انشقاق القمر» معجزة من المعجزات ، والجاهليون لم يكونوا يؤمنون بالمعجزات ، أما على المعنى الثانى فحتى الطائفة الضعيلة التي كانت تعتقد ، كما قلنا ، اعتقادا عاما في العالم الآخر لم يكن في ذهنها أن انشقاق القمر هو من مقدمات القيامة ، فما بالنا بامرئ القيس ؟

ولقد نَقَبْتُ ذات يوم في أشعار الجاهلية للبحث عن كلمة «الميد» فلم أجد إلا شاهدين اثنين لاغير ، أما عبارة «يوم الميد» بأكملها فلا وجود لها في ذلك الشعر . ثم هل يقول الجاهليون في أشعارهم ما جاء في البيت الأول مما لا يستطيع الإنسان أن يعقل له معنى من أن القمر قد انشقق عن غزال صااد قلب الشاعر ونفر ، لو ما جاء في البيت الرابع من أن ذلك الغلام قد قرَّعَ من الشاعر كهشيم المحتظر ؟ ألم هل كان من الممكن أن يتصوروا كتابة منقوشة على وجنة إنسان ؟ إن هذا من مظاهر الترف الحضارى الذى لم يكن ليخطر لهم على بال ! ألم هل

كانت قصائدهم تعرف ألفاظا وصارت مثل «المرقة» و«عانة الأقمرة»
و«جرت في أوصافه» أو الركاكات التي تجعل الشاعر يكرر كلمة
«أحورا» في البيت الثاني مرتين، أو جملة «ذنت الساعة وانتش القمر»
في أول القصيدة وأخرها دون أدنى مسوغ إلا الهلج والإسهال
اللفظي؟ أم هل جمع أي شاعر جاهلي كلمة «قمر» كما في البيت
السابع من القصيدة التافهة التي بين أيدينا؟ أم هل يمكن أن يخضع
أي شاعر جاهلي لضرورة القافية بحيث يقول : «سطرا مختصرة» بدل
«سطرا مختصرا» ، أو أن يخطئ فيقول : «لحافظ فالككة» بدلا من
«لحافظ فالككة» ؟

وأخيرا لقد كنت أستطيع أن أريح نفسي منذ البداية فأقول إن هذه
القصيدة لا وجود لها في ديوان امرئ القيس ولا في ديوان أي شاعر
جاهلي، لكنني أردت أن أبين أن أي إنسان عنده منة الشم يستطيع
على مسافة أميال أن يعرف أنها ليست لامرئ القيس ولا لأي شاعر
جاهلي أو إسلامي أو أموي أو حتى عباسي رغم أن التغزل بالفلان قد
بدأ في أيام العباسيين كما سلف القول ، إذ إن طابع عصور الانحطاط
في تاريخ الأدب العربي واضح فيها أشد الوضوح. ونفس الشيء نقوله
في البيتين الآخرين اللذين نسبهما صوّحنا الجاهل أيضا لامرئ القيس
(ص ١٨٦) ، وهما :

أَقْبَلَ وَالْمَشَاقَّ مِنْ خَلْفِهِ كَانَتْهُمْ مِنْ حَذَبٍ يَسْلُونَ

وَجَاءَ يَوْمَ الْمَعِيدِ فِي زِينَةٍ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَحْمِلِ الْعَامِلُونَ

وَبَقِيَ كُتُبُ جَهْلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى : فَلَمَّا انْصَارَى فَلَوْ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَعْلَمَ شَيْئًا مِنْهُمْ لَا يَبْرِي لَهُ أَحَدٌ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَكَّةَ
أَيَّامِ اضْطِهَادِ قَوْمِهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْرِي
بِتَقْوَى الْأَقَابِلِ عَلَيْهِ ، قَالُوا : «أَنَا الَّذِي أَخَذْتَ مِنِّي يَا مُحَمَّدُ كَلَامِي
وَزَعَمْتَ أَنَّهُ قُرْآنٌ يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ» . وَلَقَدْ ظَهَرَ النَّصَارَى مَرَّةً
أُخْرَى فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ حِينَ زَلَّاهُ وَفَدَّ نَصَارَى
بُخْرَانَ ، وَفِيهِمْ سَادَتُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ ، فَدَعَاهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ ،
وَهِيَ قِيَمَةُ التَّحَدِّي ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا ؟ وَلَمَّا لَمْ يَقْلُهَا بِحِيرًا ، الَّذِي
يُظَنُّ الْمُسْتَشْرِقُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ أَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّهُمْ
لَمْ يَتْرَكُوا أَى شَيْءٍ يَرَوْنَ أَنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ إِلَّا وَفَعَلُوهُ ، حَتَّى لَقَدْ
ذَهَبُوا إِلَى قَرِيْشٍ وَزَعَمُوا أَنَّ أَصْنَانَهُمْ وَوَلِيَّتَهُمْ وَاتِّحَادَاتَهُمُ الْأَخْلَاقِيَّةَ
خَيْرٌ مِنْ تَوْحِيدِ مُحَمَّدٍ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، كَمَا تَأْمَرُوا
عَلَى قَتْلِهِ وَطَعْنِ دِينِهِ فِي ظَهْرِهِ وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَيْدِي الْأَحْزَابِ فِي
غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ... إلخ ، وَرَغِمَ ذَلِكَ نَزَاهُمْ لَمْ يَنْبِسُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَنْ
أَخْذِهِ الْمَرْهُومِ مِنْ كُتُبِهِمْ . وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْيَهُودَ يَتَحَمَتُونَ بِوَقَاحَةِ فَاتِكَةِ
وَلَا يَمَالُونَ أَنْ يَفْتَرُوا الْكُذْبَ عَلَى أَشْرَفِ الشُّرَفَاءِ ، يَدَّ أَنْهُمْ خَرَسُوا

تماما فى هذه المسألة ، فعلام يدل هذا ؟ وكيف تواتيك نفسك أيها
المتنطع الكذوب بعد أربعة عشر قرنا من الزمان على توجيه مثل هذا
الالتهام ؟ إن السماء هو خلق الكرم ، وأنتم قوم لا تستحون ، تماما مثل
الموسى التى يعرف الناس جميعا عهدها وفضائلها ، ومع ذلك فإنها
لا تشعر بلذة من جعل بل تقف فى الشارع وتصبح بملء صوتها
العاهر أنها أشرف من كل نساء الدنيا وأنها وأنهن ! أهلا غاية ما
عندكم مما تهتمون به سيد الخلق ؟ أكل هذا من أجل أن دينه قد
أنكر التثليث وورثة الخطيئة وأبوة الله لواحد من عباده وشرب الخمر
وأكل الخنزير وترك المختار ؟ لقد ظلت حرىكم هذه العروا سنونة
عليه وعلى دينه طوال القرون الأربعة عشر الخالية ، ولكنها لم تؤذ بكم
إلى شيء ! وإنكم لتظنون أن الهوان الذى أصاب المسلمين فى هذه
الأيام النحسات هو فرصتكم الذهبية للقضاء على دين سيد الخلق ،
وأنتم فى ذلك واهمون وهم التائم الذى لم يتخط جملها فبانت سوائه
وهو يحطم الأحلام ويظنها حقائق ! إنكم لتأطعون جبلا أسم ، ولقد
فقد عقله من تسول له نفسه أنه يستطيع تدمير الجبال بقرنى صرصور !



وحت حنوان «الوحى الذى يشك فيه مبلغه» يسوق الشقى اللعين
قوله تعالى مخاطبا رسوله عليه السلام فى بدايات الوحى : «فإن كنت

فى شكّ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممتنعين» (يونس / ٩٤) طيلا على أنه صلى الله عليه وسلم كان يشكّ فى نبوته ، فكيف يتوقع إذن من سامعيه أن يصدقوه ؟ لم يستشهد بقول بولس إلى أهل غلاطية (٨/١) : «إنّ بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أنانيما (أى واقما تحت لعنة)» على أن هناك فرقا بين محمد ، الذى يشكّ فى الوحي الذى ينزل عليه ، وبين بولس الواقع فيما كان يشتر به حسب كلامه (مر ٨٢ - ٨٣) .

ومقطع الحق أنه ليس فى الآية الكريمة ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يشكّ أتمدّ فى الوحي ، فإنّ حرف الشرط «إنّ» يدل على استحالة الفعل أو استبعاد حدوثه على أقل تقدير ، وإنما هو ضرب من تثبيت القلب ، إذ كان قومه يكذبونه ويفترون عليه الاتهامات ، فبين القرآن له أنه على الحق فلا ينبغي أن يالى باختراعات المفترعين ، وإذا كان قومه يكذبونه ورفضون دعوته فما هم أولاء الذين يقرأون الكتب من قبله ، فليسألهم إن أحبّ ، ولسوف يجيبونه بأن نبوته معروفة عندهم وأن الناموس الذى ينزل عليه هو نفسه الناموس الذى كان ينزل على إخوانه الأنبياء من قبل . إنه نفس الجواب الذى

سمعه قبلا من ورقة بن نوفل . ومع ذلك فإنه عليه السلام لم يشك ولم يسأل ، وقد وردت الروايات بذلك ، إذ كان جوابه عندما نزلت عليه تلك الآية : «أنا لا أشك ولا أسأل» . وحتى لو كان عليه السلام قد توقف أمام هذا الحدث العجيب الذي حوّل حياته وحياة البشرية ومسيرها الحضارية تحويلا ، فماذا في هذا ؟ إنه يدل على أنه لم يخترع الوحي كما يفترى عليه أعداء الإسلام ، إذ المخترع لا يشك ولا يتوقف ، فضلا عن أن يملن هذا على الملأ ، وإنما كان يسعى اليقين المطلق ، وهذه قمة الموضوعية . وعلى أية حال فإن حرف الشرط «إن» الموجود في أول الآية الكريمة موجود أيضا في أول عبارة بولس : «إن بشرناكم .. إلخ» ، فهل يقول المتطعم الجهول إن بولس يعترف بأن من الممكن أن يشتر أهل غلاطية بخير ما كان يشترهم فعلا به ؟ ولقد خاطب الله رسوله قائلا : «قل : إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»^(١) ، ومستحيل في الإسلام وفي منطق العقل أن يكون لله ولد . ألا يرى العبد الفاضل أنه كالحمار يحمل أسفارا ؟

وإني لأستغرب كيف لم يفكر الغبي مثلا في صبيحة عيسى عليه السلام على الصليب حسب مزاعم المعهد الجديد : «إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني ؟» ، إذ ليس لها من معنى إلا أنه لما جدد الجسد نسي كل ما

(١) الزعفران / ٨١ .

اتفق عليه مع أبيه (أو بالأحرى : مع إلهه طبقا لكلامه هو) من أنه
 سيُصَلَّب تكفيراً عن خطايا البشرية ، فأخذ يبكي ويصيح عبثاً دون
 جدوى ! فذلك هو الذي ينبغي أن يشغل ذلك المتنطع به نفسه لا
 بتفهم تفسير القرآن برعونة وجهل ! هذا ، ولا أريد أن أشير إلى اجترأه
 بإلحاق علي المسيح (وهو الله عندهم) وأخذته إياه إلى قمة الجبل كي
 يختبر إيمانه ، ولا إلى تمديد بحري عليه السلام له ، أي تمديد
 العهد للرب ... إلخ ، وهو كثير !



ويستمر التعميس في لخطاته فيقول إن قوله عز شأنه في الآية ٢٣
 من «المائدة» عن يهود المدينة : «وكيف يحكمونك ، وعندهم التوراة
 فيها حكم الله ؟» وقوله جلّ وعلا عن النصارى في الآية ٤٧ من
 نفس السورة : «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم
 يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» ، دليل على أن التوراة
 والإنجيل اللذين كانا في أيدي اليهود والنصارى صحيحان (ص ٨٣)
 وهو فهم غيبي ، وإنما يريد القرآن أن يوضح لليهود نفاقهم وتخبيلهم
 حيث يرفضون نبوة محمد ، وفي ذات الوقت يأتون إليه طالبين منه أن
 يصدر حكمه على زانين منهما ، فقال لهم : إن في كتابكم العقوبة
 الخاصة بالزنا ، فلماذا تتجاهلون بها وتظنون أن رسول الله سوف يحكم

عليهما بحكم آخر أخف ؟ ولقد عبث اليهود فعلا بتوراتهم ، إلا أن هناك مواضع وأحكاما فيها لم تمسها يد العبث ، ومنها رجم الزناة . فهل إذا قال القرآن الكريم إن حكم الزنى الموجود فى العهد العتيق هو حكم صحيح كان معناه أن كل ما فى ذلك الكتاب صحيح ؟ أما قوله عز وجل : « ولحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فهو يتحدث عما أنزل الله على عيسى لا ما أضافته أو حرّفته يد الإفساد . ولقد كان بما أنزل الله على عيسى التبشير بنبوّة محمد ، وهو بما أمر الله أهل الإنجيل أن يحكموا به فبدخلوا فى دين محمد وعبثوا بالتوحيد بدل التثليث وعبثوا من لحم الخنزير وما إلى ذلك مما أدخله بولس وأمثاله فى ديانة عيسى ، وهى منه براء ، فهذا هو معنى الآية ، لكن القلوب الغلّف لا تفهم !
وبالله التوفيق !

الفهرست

- في البدء كانت هذه الكلمة ا _____
- ١١ الشبهات اللغوية _____
- ٩٩ شبهات خاصة بالمضمون _____